مذكرة توحيد ١

[القسم الأول: مدخل إلى عقيدة أهل السنة والجماعة]

المسألة الأولى:
[معنى العقيدة]

العقيدة لغة : على وزن فعيلة بمعنى مفعولة، أي : معقودة .

والعقيدة : مصدر عقد يعقد عقدا ، والعين والقاف والدال أصل يدل على الربط والشد، والعهد، والملامة، والتأكيد. فهذه المعاني الأربعة هي أبرز ما تدور عليه مادة عقد .

١- الربط والشد بقوة. يقال: عقد الحبل، يعقده عقدا، إذا ربطه وشده بقوة.

٢- العهد. يقال: بين هذه القبيلة وتلك عقد أي: عهد. وجمعه عقود. ومنه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: من الآية ١] ؛ أي: أوفوا بالعهود التي أكدتموها.

٣- الملازمة. يقال: عقد قلبه على الشيء، أو عقد قلبه الشيء، إذا لزمه. ومن هذا الباب قوله -صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة" ٢؛ فمعقود في نواصيها أي: ملازم لها، حتى لكأنه عقد عليها.

٤- التأكيد. يقال: عقد البيع، إذا أكده. ومنه العقد المكتوب في البيع؛ إذ هو لم يكتب إلا بعد إيقاع البيع وتأكيده.

العقيدة اصطلاحا :

عرفها أهل العلم بتعريفات كثيرة ، سأقتصر منها على تعريف واحد .

العقيدة : هي ما عقد الإنسان قلبه عليه من أصول الدين، ودان لله عز وجل به.

والرابط بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي ظاهر وهو: أن الذي جزم بالشيء، وصمم عليه، قد ألزمه قلبه، وربطه عليه، وشده بقوة، بحيث لا يتفلت منه أبدا.

المسألة الثانية:

[أهمية العقيدة]

١ – العقيدة هي أول دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فكلهم تتابعوا على البدء بالدعوة إلى التوحيد وتصحيح العقيدة ، فالعقيدة من أجلها أرسلت الرسل؛ وأنزلت الكتب ، ولو لم تكن منزلتها عالية في الدين وأهميتها بالغة في الشريعة لما كانت أول دعوتهم، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: من الآية ٣٦] . وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥] .

٢ – العقيدة أصل الدين وأساس قبول الأعمال ، فلا صحة لأي عمل مع الشرك ، ولا قيام للإسلام مع إنكار الملائكة أو ركن من أركان الإيمان إلخ ، فالعقيدة هي الأصل الذي ينبني عليه قبول الأعمال وصحتها ، قال تعالى:{ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ٨٨] ، ويقول سبحانه: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥] . وقال تعالى :{وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ} وقال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}.

٣ – العقيدة هي الغاية من التي من أجلها خلق الخلق، قال تعالى :{وَمَا خلقت الْجِنّ وَالْإِنْس إِلَّا ليعبدون}وقوله : {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} ٣ {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً}، يقول السعدي : " ... الغاية المقصودة من الخلق والأمر : معرفة الله وعبادته "

٤ – تعلق النجاة في الآخرة على صحة الاعتقاد ابتداء أو مآلا ، قال صلى الله عليه وسلم : " يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان " وقال " فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله"

٥ – العقيدة هي أعظم الواجبات وآكدها؛ لذا فهي أول ما يطالب به الناس، كما قال صلى الله عليه وسلم: «أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم " يا معاذ إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..." الحديث . وكل نبي أول ما يقرع أسماع قومه " قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " " يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره "

٦ – حاجة الإنسان إلى علم العقيدة أشد من حاجته إلى كل شيء حتى الطعام والشراب ، فأي صلاح للعالم إذا عدمت العقيدة ؟والعبد في موت وظلمة ما لم تطلع عليه شمس الرسالة كما قال تعالى : [أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها]، بل ذكر العلماء أن حاجة الإنسان إلى الوحي ورأس ذلك الاعتقاد أعظم من حاجته إلى التنفس لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن ، وتعطل الروح عنه، وأما ما يقدر عند عدم الاعتقاد الصحيح والتوحيد والشريعة فساد الروح والقلب وهلاك الأبد .وشتان ما بينهما . انظر : [مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩ / ٩٣ – ٩٦ ،مفتاح دار السعادة) ٢ / ٢]

٧ – الخطأ في العقيدة يوجب الخطأ في مسائل العلوم الأخرى ، وشاهد هذا ما حصل من المتكلمين في مسائل أصول الفقه وعلوم العربية ، فلما اعتقدوا عقائد فاسدة ، أخذوا في تحريف بعض مسائل أصول الفقه والعربية لتوافق ما اعتقدوه من عقائد فاسدة ، كتعريف كلام الله ، وأول واجب على المكلف ، وتعريف الاستواء في لغة العرب وغير ذلك ، فسائر العلوم إن لم تبن على اعتقاد صحيح ، فسيدخلها الخلل في كثير من مباحثها ، لذا من الأهمية بمكان أن يدرس الإنسان العقيدة الصحيحة لكي لا يقع فيما وقعوا فيه .

المسألة الثالثة :

[خصائص العقيدة]

فإذا قلنا: خصائص العقيدة، فمرادنا: صفاتها البارزة التي تنفرد بها، وتميزها عن بقية العقائد.

وللعقيدة الإسلامية سمات بارزة تميزها عن بقية العقائد، منها :

١ – أنها توقيفية : أي : أن نلتزم بما جاء في الكتاب والسنة فقط وفق فهم السلف، فليس لأحد أن يحدث عقيدة في الدين، زاعما أن هذا الأمر يجب اعتقاده؛ فإن الله عز وجل أكمل الدين، وانقطع الوحي، وختمت النبوة، يقول تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا} [المائدة: من الآية ٣] ، ويقول –صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". ولذا هم لا يتعصبون لطائفة معينة ولا لشخص معين غير النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، بل يعرضون قول كل أحد على الكتاب والسنة فما وافقه قبل وإلا رد كائنا من كان .

٢ – أنها غيبية : أي : أن كثيراً من مباحثها تتعلق بأمور غيبية لا مجال للعقل في إدراكها، ومبناها على التسليم والتصديق المطلق بما جاء عن الله عز وجل، وعن رسوله –صلى الله عليه وسلم– ظاهرا وباطنا.

٣ – أنها تكاملية وشمولية : أي :أنها لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتت بإيضاحها، من بداية خلق الإنسان وإلى دخوله الجنة أو النار عياذاً بالله، فقد أحاطت وهيمنت على العقائد ، والأعمال، والأقوال ، وكل أمور الحياة.

٤ – أنها وسطية : أي : أنها أفضل وأعدل العقائد، ولا خير فيما سواها، فلا إفراط ولا تفريط فيها.

فأهل السنة في أسماء الله وصفاته وسط بين أهل النفي والتعطيل، وأهل التشبيه والتمثيل .

وفي باب القدر، فهم وسط بين الجبرية والقدرية

وفي نصوص الوعد والوعيد، فهم وسط بين الوعيدية والمرجئة

وفي باب الأسماء والأحكام، فهم وسط بين الوعيدية والمرجئة

وفي باب الصحابة وسط بين الروافض والنواصب .

٥ – موافقتها للعقول السليمة والفطر المستقيمة : أي : أن عقيدة أهل السنة لا تخالف العقول الصحيحة السالمة من الشبهات ، وموافقة أيضا للفطر المستقيمة السالمة من الشهوات ، قال صلى الله عليه وسلم :" "ما من مولود إلا يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. كما تنتج البيهمة بهيمة جمعاء. هل تحسون فيها من جدعاء؟ ". ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث: واقرأوا إن شئتم: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: ٣٠] ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا"

٦ – ثبات عقيدتهم واستقرارها: أي : أنها ثابتة طيلة القرون الماضية وإلى أن تقوم الساعة ، يتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل ، محفوظة بحفظ الله ، ومنصورة بنصر الله ، لا يتطرق إليها تبديل ولا تحريف ، بخلاف الفرق الأخرى تتغير عقيدتهم مع تغير الأيام وتجدد المنتسبين إليها ، فهم متذبذبون حائرون لا قرار لهم ولا لعقيدتهم .

٧ – سلامتها من التناقض والاضطراب : فمن يتأمل عقيدة السلف يجد أنها محكمة ومطردة لا تناقض فيها ولا غرابة في ذلك لأنها مأخوذة من الشرع الذي تكفل الله بحفظه وسلامته من الاضطراب والتناقض بخلاف العقائد الباطلة مأخوذة من مصادر غير محفوظة ولا محكمة " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ".

٨ – عدم الانتماء والتعصب لأي شخص كائنا من كان سوى النبي صلى الله عليه وسلم .

لقوله تعالى : [وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا]

وقوله تعالى : [فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول]

يقول ابن تيمية رحمه الله : " انتحال قول أو طريقة للذم بها والمدح ، والموالاة عليها والمعاداة غير الإيمان والقرآن ، أو إمام يوالى على اتباعه مطلقا ويعادى على عدم اتباعه مطلقا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حال أهل البدع الضالين "

المسألة الرابعة

[معنى علم العقيدة، وموضوعه]

معنى علم العقيدة : هو علم يبحث في مسائل أصول الدين العلمية وهي أركان الإيمان الستة والصحابة والإمامة وملحقاتها والرد على المخالفين فيها .

موضوعات علم الاعتقاد :

١ – مقدمات في علم العقيدة [مفهوم أهل السنة وخصائصهم ومصدر التلقي عندهم ومنهجهم في الاستدلال]

٢ – الإيمان بالله والرد على المخالفين [ويدخل فيه الألوهية والربوبية والأسماء والصفات]

٣ – الإيمان بالملائكة عليهم السلام والرد على المخالفين

٤ – الإيمان بالكتب والرد على المخالفين [ويدخل فيها ضمنا كرامات الأولياء وخوارق الشيطان]

٥ – الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام والرد على المخالفين [ويدخل فيها ضمنا مسائل عالم الجن]

٦ – الإيمان باليوم الآخر والرد على المخالفين

٧ – الإيمان بالقدر خيره وشره والرد على المخالفين

٨ – مسائل الصحابة رضي الله عنهم وآل البيت والرد على المخالفين

٩ – مسائل الإمامة والرد على المخالفين

١٠ – مسائل الأسماء والأحكام [ويدخل فيها تعريف الإيمان وزيادته ونقصانه والاستثناء فيه ، والتكفير ، والتبديع، والتفسيق ، وأهل الكبائر]والرد على المخالفين فيها

المسألة الخامسة:

[الأسماء التي أطلقت على العقيدة]

الأسماء التي أطلقت على العقيدة كثيرة ، ومنها الصحيح ، ومنها الباطل ، ولذا سأقسم هذه المسألة إلى قسمين :

القسم الأول : الأسماء الصحيحة التي أطلقت على العقيدة .

استخدم السلف مصطلحات متعددة للعقيدة ، وألفت الكتب بتلك الأسماء ، فمنها :

١ – التوحيد : فمن المؤلفات العقدية التي أطلق عليها مسمى التوحيد :

- كتاب التوحيد للإمام ابن منده
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة
- كتاب التوحيد ضمن الجامع الصحيح للإمام البخاري
- كتاب التوحيد لأبي محمد عبدالغني المقدسي
- كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب

وحين المقارنة بين "العقيدة"، و"التوحيد" كمصطلحين، نجد أن لفظ العقيدة أعم من جهة موضوعها من لفظ التوحيد ، فهي تشمل التوحيد وزيادة، فيدخل فيها مباحث شتى؛ كالرسل ورسالاتهم، والملائكة وأعمالهم، والكتب السماوية، واليوم الآخر وما فيه، والقضاء والقدر وما يتعلق به، والإمامة، والصحابة. بل يدخل فيها أيضا: موقف المسلمين من الفرق الضالة، وغير ذلك. وتسمية العقيدة بالتوحيد من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه؛ لأن توحيد الله عز وجل هو أشرف مباحث علم العقيدة.

٢ – أصول الدين : فمن المؤلفات العقدية التي أطلق عليها مسمى أصول الدين :

- الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبو الحسن الأشعري .

وسمي علم التوحيد أو علم العقيدة بـ"علم أصول الدين" لأن أصول الدين: هي ما يقوم ويبنى عليه الدين . والدين الإسلامي يقوم على عقيدة التوحيد .

٣ – السنة أو أصول السنة : فمن المؤلفات العقدية التي أطلق عليها مسمى السنة أو أصول السنة :

- السنة لأحمد بن حنبل "ت٢٤١هـ".
- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد لخلال
- السنة لعبدالله بن الإمام أحمد
- السنة لأبي محمد الحسن بن علي البربهاري
- صريح السنة لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
- شرح السنة للمزني
- السنة لابن أبي عاصم

– أصول السنة : فمن المؤلفات العقدية التي أطلق عليها مسمى أصول الدين :

- أصل السنة والاعتقاد الدين للإمام أبو حاتم الرازي .

وسبب إطلاق لفظ السنة على العقيدة ، لأن السنة مصدر من مصادر العقيدة –كما سيأتي، وطريقة من طرق إثبات العقيدة الصحيحة .

وأيضا أطلقوا على عقيدة السلف الصالح اسم السنة، إشعاراً بأن السنة تشمل العقائد كما أنها تشمل العبادات.

٤ – الفقه الأكبر : فمن المؤلفات العقدية التي أطلق عليها مسمى الفقه الأكبر :

- "الفقه الأكبر" للإمام أبي حنيفة؛ النعمان بن ثابت "ت١٥٠هـ"؛ فقد روي عنه كتاب بهذا الاسم، وهو مشهور عند أصحابه، بحث فيه رحمه الله بعض مسائل الاعتقاد.

- الفقه الأكبر للإمام الشافعي؛ محمد بن إدريس "ت٢٠٤هـ "، عرض فيه مسائل الاعتقاد بالتفصيل نسبه إليه حاجي خليفة في كشف الظنون .

وسبب تسمية العقيدة بالفقه الأكبر:

مقارنة بفقه الفروع فقولنا "الفقه الأكبر" يشعر بأن هناك فقها آخر ليس بأكبر، وهو ما أطلق عليه اسم الفقه الأصغر [فقه الفروع].

٥ – الشريعة : فمن المؤلفات العقدية التي أطلق عليها مسمى الشريعة:

– الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري

– الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لأبي عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة .

العلاقة بين الشريعة والعقيدة :

إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، فالعقيدة إذا ذكرت مع الشريعة فالمراد بالعقيدة ما يكون في القلب من اعتقاد وأعمال قلبية ، والشريعة يراد بها حينئذ الأعمال الظاهرة ، لكن إذا ذكرت العقيدة مفردة فتكون شاملة للشريعة ، وكذلك إذا ذكرت الشريعة مفردة فإنها تشمل العقيدة ، وهذا مثل الإسلام والإيمان عند الاجتماع والافتراق .

٦ – الإيمان : فمن المؤلفات العقدية التي أطلق عليها مسمى الإيمان :

– الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام

– الإيمان لأبي بكر عبدالله بن أبي شيبة

– الإيمان لمحمد بن إسحاق بن منده

– الإيمان الأوسط والكبير لابن تيمية .

العلاقة بين الإيمان والعقيدة :

بينهما عموم وخصوص ، فلفظ العقيدة عام من جهة أنها تشمل مباحث الإيمان وغيرها من المباحث كالصحابة والإمامة إلخ ، وخاص من وجه أن العقيدة شعبة من شعب الإيمان الكثيرة .

٧ – العقيدة أو الاعتقاد: فمن المؤلفات العقدية التي أطلق عليها مسمى العقيدة أو الاعتقاد :

– شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي

- عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني

- الاقتصاد في الاعتقاد لعبدالغني المقدسي

القسم الثاني : الأسماء الباطلة التي أطلقت على العقيدة .

استخدم أهل الأهواء والبدع مصطلحات باطلة لمسمى العقيدة ، وألفت الكتب بتلك الأسماء ، فمنها :

١ – علم الكلام

٢ – الفلسفة

٣ – التصوف

٤ – الفكر الإسلامي أو التصور الإسلامي

٥ – الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة .

٥ – الإلهيات .

ووجه بطلان هذه الأسماء يظهر من عدة أوجه :

١- أن علم الكلام والفلسفة يقوم على إثبات العقائد بالأدلة العقلية أصالة ، وهذا يخالف ما قرره أهل السنة من كون العقيدة تثبت أصالة بالنقل ، أما العقل فهو تبع للنقل ، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}.

٢- بعض التسميات كالميتافيزيقا قائمة على الإيمان بالمحسوسات فقط وإنكار الغيبيات؟!

٣ – أن العقيدة لابد فيها من الجزم واليقين ، وهذه المسميات لا جزم فيها ولا يقين، بل هي قائمة على الظنون والأوهام والشكوك .

وانظر إلى شاهد ذلك ، فيما قاله من جرّب علم الكلام وعرف ضرره :

قال الرَّازِيُّ، قَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي [أَقْسَامِ] اللَّذَّاتِ :

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ ... وَغَايَةُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ: قِيلَ وَقَالُوا

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ ... فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتِهَا ... رِجَالٌ، فَزَالُوا وَالْجِبَالُ جِبَالُ

لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَلَا تُرْوِي غَلِيلًا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، اقْرَأْ فِي الْإِثْبَاتِ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} وَاقْرَأْ فِي النَّفْيِ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}{وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} ثُمَّ قَالَ: "وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي".

وَكَذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الشَّهْرَسْتَانِيُّ، إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ إِلَّا الْحَيْرَةَ وَالنَّدَمَ، حَيْثُ قَالَ:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ: يَا أَصْحَابَنَا لَا تَشْتَغِلُوا بِالْكَلَامِ، فَلَوْ عَرَفْتُ أَنَّ الْكَلَامَ يَبْلُغُ بِي إِلَى مَا بَلَغَ مَا اشْتَغَلْتُ بِهِ. وَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ: لَقَدْ خُضْتُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ، وَخَلَّيْتُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَعُلُومَهُمْ، وَدَخَلْتُ فِي الَّذِي نَهَوْنِي عَنْهُ، وَالْآنَ فَإِنْ لَمْ يَتَدَارَكْنِي رَبِّي بِرَحْمَتِهِ فَالْوَيْلُ لِابْنِ الْجُوَيْنِيِّ، وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي، أَوْ قَالَ: عَلَى عَقِيدَةِ عَجَائِزِ نَيْسَابُورَ.

٣ – أن العقيدة الإسلامية تستند إلى الوحي ، والحي معصوم قال تعالى :{لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه}، بخلاف الفلسفة وعلم الكلام ونحوها مستندة إلى قواعد عقلية ، وعقول البشر تخطئ وتصيب فلا عصمة لها .

٤ – أن هذه المسميات تحتوي على مسائل وعقائد فاسدة ، بين بطلانها أهل العلم ، كنفي الصفات ، وإنكار الغيبيات ، والاعتراض على الوحي وغيرها .

قال القحطاني في نونيته (ص: ٥١)

لا تلتمس علم الكلام فإنه ... يدعو إلى التعطيل والهيمان

لا يصحب البدعي إلا مثله ... تحت الدخان تأجج النيران

علم الكلام وعلم شرع محمد ... يتغايران وليس يشتبهان

٥ – ذم السلف لعلم الكلام والفلسفة وغيرها .

عن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه قال لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأسا في الكلام قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة.

وعنه أيضا أنه قال: من طلب العلم بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

وللاستزادة في معرفة ذم السلف لعلم الكلام والفلسفة ، انظر على سبيل المثال :

١ – ذم الكلام للهروي

٢ – ذم التأويل لابن قدامة

٣ – الرد على المنطقيين لابن تيمية

٤ – نقض المنطق لابن تيمية

٥ – بغية المرتاد لابن تيمية

٦ – بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية

٧ – درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية

٨ – الصفدية لابن تيمية

٩ – النبوات لابن تيمية **وغيرها كثير** .

المسألة السادسة:

[الأسماء التي أطلقت على علماء العقيدة الصحيحة]

الأسماء التي أطلقت على علماء العقيدة الصحيحة كثيرة ، منها الصحيح ، ومنها الباطل ، ولذا سأقسم هذه المسألة إلى قسمين :

القسم الأول : الأسماء الصحيحة التي أطلقت على علماء العقيدة الصحيحة .

استخدم السلف مصطلحات متعددة لعلماء العقيدة الصحيحة ، ، فمنها :

١ – أهل السنة والجماعة أو أهل الجماعة .

مفهوم أهل السنة والجماعة: هم من كان على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم في الأصول والفروع .

وهذا هو الاسم المشهور الذي أطلق عليهم .

وهذه التسمية مأخوذة من قوله صلى الله عليه وسلم في بيان الفرقة الناجية في حديث الافتراق: "وهي الجماعة"؛ فعن أنس بن مالك؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار؛ إلا واحدة وهي الجماعة"

٢ – أهل الحديث

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان المقصود بلفظ "أهل الحديث": "ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته وروايته؛ بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرًا وباطنًا واتباعه باطنًا وظاهرًا وكذلك أهل القرآن" انظر : [الفتاوى ٤/ ٩٥] وانظر : [عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٣- ٤].

٣ – أهل الأثر [الأثرية]

ومعنى أهل الأثر كما يقول الإمام السفاريني: "أي: الذين إنما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله جل شأنه في كتابه، أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، أو ما ثبت

وصح عن السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم الفخام".انظر : [لوامع الأنوار ١/ ٦٤].

جاء في كلام أبي حاتم الرازي: "مذهبنا واختيارنا إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين. والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل: أبي عبد الله أحمد بن حنبل"

وقال في موضع آخر: "وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية" فاستعمل "أهل الأثر" بمعنى "أهل السنة" انظر : [شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٧٩، ١٨٠، ١٨١].وكذلك ورد إطلاق ذلك في كلام أبي نصر السجزي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما . انظر : [الرد على من أنكر الحرف أو الصوت ص ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٢٣ ، وانظر : "درء التعارض" "٦/ ٢٦٦"].

٤ – السلف [السلفية]

والمراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة. انظر : [لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٢٠].

يقول الأوزاعي : " اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا: وكف عما كفوا عنه، وأسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك" انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة [١/ ١٥٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه، واعتزى إليه؛ بل يجب قبول ذلك منه، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًا" انظر : [الفتاوى ٤/ ١٤٩].

٥ – الفرقة الناجية

وهم الذين على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الافتراق: "وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة"

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفرق كلها هالكة إلا واحدة فهي ناجية وهي الجماعة، وفي رواية أخرى: "ما أنا عليه وأصحابي"

وسطية أهل السنة بين الفرق (ص: ١٢١)

ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل، وقد ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة": إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم.

٦ – الطائفة المنصورة

وهذا اللقب مستفاد من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون".

وفي حديث معاوية بن قرة عن أبيه: "لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة". وقد بين السلف المراد بهذه الطائفة

قال علي بن المديني "١٦١– ٢٣٤ هـ": "هم أصحاب الحديث".

وقال الإمام أحمد بن حنبل "١٦٤– ٢٤١": "إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم"

القسم الثاني : الأسماء الباطلة التي أطلقت على علماء العقيدة الصحيحة .

استخدم أهل الأهواء والبدع مصطلحات باطلة أطلقوها على أهل السنة والجماعة ، منها :

١ – الحشوية

٢ – المجسمة أو المشبهة

٣ – النابتة

٤ – النواصب أو الناصبة

٥ – الجبرية أو المجبرة

٦ – نقصانية :

٧ – شكاكين أو شكاكة أو شكاك:

٨ – مخالفة :

٩ – العامة والجمهور :

١٠ – غثاء أو غثراء .

وكل هذه الألقاب ألقاب مبتدعة، ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يلحق أهل السنة والأثر شيء منها عند التحقيق؛ فإن أهل السنة هم خيار الناس وأفاضلهم لاتباعهم في أمور دينهم سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وآثار السلف الصالح، وابتعادهم عن الابتداع والبدعة والقول في دين الله بغير دليل من كتاب أو سنة أو إجماع؛ بخلاف أهل البدع الواسمين لهم بهذه الألقاب؛ فإنهم أصحاب فرقة وخلاف وابتداع، ومن علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر والحط عليهم والنيل منهم بغير حق، للإزراء بهم والتنفير منهم. والله يحكم بين الجميع يوم لقائه، وسيعلم الذين ظلموا حينئذ أي منقلب ينقلبون؟

المسألة السابعة:

[أهم الكتب التي ألفت في العقيدة]

الكتب التي ألفت في العقيدة على قسمين :

القسم الأول : الكتب العقدية المسندة [وهي الكتب التي يروي فيها المصنف جملة من الآثار والمسائل العقدية بإسناده].

وهذا القسم على نوعين :

١ – الكتب العقدية المسندة التي تتعلق بتقرير العقيدة.

مثال ذلك :

- الشريعة للآجري
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي
- الإبانة الكبرى لابن بطة
- التوحيد لابن خزيمة
- التوحيد لابن منده
- الإيمان لابن منده
- السنة للإمام عبدالله بن الإمام أحمد

٢ – الكتب العقدية المسندة التي تتعلق بالرد عل المخالفين في مسألة عقدية .

مثال ذلك :

- الرد على الجهمية للدرامي
- الرد على الجهمية لابن بطة [ضمن الإبانة الكبرى]
- الرد على بشر المريسي للدرامي

القسم الثاني : الكتب العقدية غير المسندة [وهي الكتب التي تروي فيها الآثار والمسائل العقدية محذوفة الأسانيد]

وهذا القسم على نوعين :

١ – الكتب العقدية غير المسندة التي تتعلق بتقرير العقيدة.

مثال ذلك :

- السنة للبربهاري
- صريح السنة للطبري
- شرح السنة للمزني
- الواسطية لابن تيمية وسائر كتبه.
- الطحاوية
- التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب وسائر كتبه .

٢ – الكتب العقدية غير المسندة التي تتعلق بالرد عل المخالفين في مسألة عقدية .

مثال ذلك :

- الرد على الزناقة والجهمية للإمام أحمد
- الرد على الجهمية لابن قتيبة

المسألة الثامنة

مصادر التلقي في العقيدة ومنهج الاستدلال عند أهل السنة ومخالفيهم

أما مصادر التلقي في العقيدة عند أهل السنة ومنهج استدلالهم كما يلي :

أما الدليل : فإن أهل السنة يعتمدون على الكتاب والسنة والإجماع في اعتقادهم ، ولا يردون منها شيئا ، ولا يتلقون اعتقادهم من العقل ، ولا من الذوق ولا من المنامات إلخ ، بل يقفون حيث تقف بهم النصوص ممتثلين قول الله (يأيها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم) وقوله (يأيها الَّذين آمنُوا أطِيعُوا الله وَأَطيعُوا الرَّسُول وأولي الْأَمر مِنْكُم فَإِن تنازعتم فِي شَيْء فَردُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُول إِن كُنْتُم تؤمنون بِاللَّه وَالْيَوْم الآخر ذَلِك خير وَأحسن تَأْوِيلا)

يقول ابن القيم – رحمه الله – : " فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالا، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول؛ إيذانا بأنهم إنما يطاعون تبعا لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وقال: «إنما الطاعة في المعروف» وقال في ولاة الأمور: «من أمركم منهم بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة "انظر : إعلام الموقعين (١ / ٣٨) .

وقوله تعالى :{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}

ويقول تعالى :{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}

ويقول – سبحانه وتعالى –: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

ويقول تعالى (وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

وأخرج الشيخان عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «لعن اللَّه الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحُسْن المغيرات خلقَ اللَّه، فقالت أم يعقوب: ما هذا؟ فقال عبد اللَّه: وما لي لا ألعن من لعن رسولُ اللَّه وفي كتاب اللَّه؟ ، قالت: واللَّه لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته! ، فقال: واللَّه لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه؛ قال اللَّه تعالى» : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}

وهذه الآية تعتبر أصلا لكل ما جاءت به السنة مما لم يرد له في القرآن ذكر، وعلى هذا الدرب والطريق الواضح من جاء بعد الصحابة من أئمة العلم والدين.

وروي عن الشافعي رحمه اللَّه تعالى أنه كان جالسا في المسجد الحرام يحدث الناس فقال: لا تسألوني عن شيء إلا أجبتكم عنه من كتاب اللَّه، فقال رجل: ما تقول في المحرم إذا قتل الزنبور؟ فقال: لا شيء عليه، فقال: أين هذا من كتاب اللَّه؟ فقال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} ثم ذكر إسنادا إلى عمر أنه قال: للمحرم قتل الزنبور. " انظر : معرفة السنن والآثار للبيهقي (١٠٧٥٥) .

ويقول – تعالى –: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

ويقول – صلى الله عليه وسلم:".. أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) . وزاد النسائي: "وكل ضلالة في النار".

– ويقول "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".

وقوله صلى الله عليه وسلم "لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ متكئاً على أريكته يأتيه أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي! مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ".

وَفِي رِوَايَةٍ: "أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ عَنِّي الْحَدِيثُ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، قَالَ: فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا حَلَّلْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ".

وأجمع السلف على الاحتجاج بالسنة ، قَالَ الشَّافِعِي: وَلَا أعلم من الصَّحَابَة وَلَا

التَّابِعين أحدا أخبر عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِلَّا قبل خَبره وانْتهى إِلَيْهِ وَأثبت ذَلِك سنة....وصنع ذَلِك الَّذين بعد التَّابِعين، وَالَّذين لَقِينَاهُمْ كلهم يثبت الْأَخْبَار ويجعلها سنة يحمد من تبعها ويعاب من خالفها، فَمن فَارق هَذَا الْمَذْهَب كَانَ عندنَا مفارق سَبِيل أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأهل الْعلم بعدهمْ إِلَى الْيَوْم، وَكَانَ من أهل الْجَهَالَة " انظر :مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي ص (٣٤ – ٣٥).

فإن قيل : يذكر في كتب الاعتقاد الحجج العقلية والفطر المستقيمة والرؤى وقصص العلماء ؟

الجواب : أن هذه الأمور لا تذكر من باب الاعتماد وإنما من باب الاستئناس فأهل العلم لا يذكرونها أصالة ولا يستخرجون منها حكما وإنما يذكرون الأدلة الشرعية ثم يستأنسون بالأدلة الأخرى كالعقلية والفطر المستقيمة والقصص والرؤى .

علما بأن الأدلة الشرعية موافقة للفطر والمستقيمة وتشتمل على مسالك الأدلة العقلية.

وأما منهج الاستدلال : فإن أهل السنة والجماعة لهم قواعد معلومة في التعامل مع مصادر التلقي ، من سلكها فقد سلك جادة أهل السنة ، ومن حاد عنها فليعلم أنه قد وقع في مسالك أهل الضلال ، ومن تلك القواعد :

١ – الاحتجاج بخبر الآحاد إن صح في العقائد والشرائع .

فإن من قواعد أهل السنة أن خبر الآحاد يفيد العلم والعمل إن صح أو تلقته الأمة بالقبول أو استفاض خبره إلخ . ولم يكن السلف يفرقون بين القرآن والسنة في الأصول والفروع ،وإنما كانت العبرة عندهم الصحة والثبوت ، فإذا ثبتت السنة وجب قبولها ، والاحتجاج بها ، ولا فرق بين متواتر وآحاد .

قال الشافعي –رحمه الله– : (لو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديما وحديثاً على تثبيت خبر الواحد، والانتهاء إليه، بأنه لم يُعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته جاز لي. ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد بما وصفت من أن ذلك موجود على كلهم) انظر : الرسالة للشافعي ص (٤٥٣).

وقد دل على حجية خبر الآحاد الكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب :

كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} هذه الآية دالة على التثبت من خبر الفاسق ، فإن قام على خبره شواهد دالة على صدقه فيجب قبوله والعمل به ، ولهذا لم يأمر الله برد خبره مطلقاً ، وكذلك الآية تفيد أن هناك فرقًا بين خبر الواحد العدل ، وخبر الفاسق وأن التثبت في الثاني دون الأول ، فلو كان خبره لا يفيد علماً ؛ لأمر بالتثبت فيه ، فمن مفهومي الشرط والصفة ؛ يؤخذ قبول خبر الواحد . انظر : مختصر الصواعق ص(٥٧٧) ، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١ / ٢٨٠ –٢٨٢)

وقوله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}فإن الله أمر بالأخذ بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقاً بما في ذلك أخبار الآحاد.

وأما السنة :

فمنها : قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وقد أرسله إلى اليمن : " إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ..".

فهذا الحديث يدل على قبول خبر الواحد في العقائد والأحكام ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل معاذاً وهو واحد ، وأمره بتبليغ الدين بما في ذلك التوحيد ، وهذا دليل واضح على حجية خبر الواحد في الاعتقاد ، وقد احتج به العلماء على قبول خبر الواحد والعمل به. انظر : الرسالة للشافعي ص(٤١٥ – ٤١٦) ، والحجة في بيان المحجة للتيمي (١/ ٣٧٨) ، شرح صحيح مسلم للنووي (١ / ١٩٧) ، وفتح الباري لابن حجر (٣ / ٣٦٠) .

وكذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال :" أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام قال :فأخذ بيد أبي عبيدة فقال : "هذا أمين هذه الأمة".

فقولهم : " ابعث لنا رجلاً " وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد أبي عبيدة رضي الله عنه : يدل دلالة صريحة على أن خبر الواحد يفيد العلم ويوجب العمل في الاعتقاد والأحكام ؛ لقولهم: يعلمنا الإسلام ، والإسلام عقيدة وشريعة .

يقول الشافعي –رحمه الله –: (وهو صلى الله عليه وسلم لا يبعث بأمره إلا والحجة للمبعوث عليهم قائمة بقبول خبره صلى الله عليه وسلم ، وقد كان قادراً على أن يبعث إليهم فيشافههم ، أو يبعث إليهم عدداً ، فبعث واحداً يعرفونه بالصدق) انظر : الرسالة للشافعي ص(٤٠٥) مع تصرف يسير .

وأما الإجماع:

فقد أجمع السلف على حجية خبر الآحاد في الاعتقاد والأحكام ، وقد نقل غير واحد من العلماء هذا الإجماع عنهم ، وممن نقله :

١ – الشافعي، حيث قال :"ولم يزل سبيل سلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدناه هذه السبيل، وكذلك حكي لنا عمن حكي لنا عنه من أهل العلم بالبلدان. قال: وجدنا سعيداً بالمدينة يقول: أخبرني أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصرف فيُثبّتُ حديثه سنة. ويقول: حدثني أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيثبت حديثه سنة، ويروي عن الواحد غيرهما فيثبت حديثه سنة ... وغيرهم من محدثي المدينة كلهم يقولون: حدثني فلان لرجل من أصحاب النبي عن النبي صلى الله عليه وسلم أو من التابعين عن رجل من الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فنُثبت ذلك سنة، ووجدنا عطاء وطاووس ومجاهد ...، ومحدثي الناس وأعلامهم بالأمصار كلهم يحُفظ عنه تثبيت خبر الواحد عن رسول صلى الله عليه وسلم والانتهاء إليه والإفتاء به. ويقبله كل واحد منهم عمن فوقه ، ويقبله عنه من تحته، ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه، بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبَّته جاز لي. ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد ، بما وصفت من أن ذلك موجود على كلهم" انظر : الرسالة للشافعي ص(٤٥٠ – ٤٥٣).

٢ – وممن نقله شيخ الإسلام – رحمه الله – ، حيث قال : (وهذا مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمة الإسلام أن الخبر الصحيح مقبول مصدق به في جميع أبواب العلم، لا يفرق بين المسائل العلمية والخبرية ، ولا يرد الخبر في باب من الأبواب سواء كانت أصولا أو فروعا بكونه خبر واحد ، فإن هذا من محدثات أهل البدع المخالفة للسنة والجماعة " انظر : جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية (ص٥٠). وكذلك ذكر الاجماع ابن القيم – رحمه الله – انظر : مختصر الصواعق ص (٦٠٥).

٢ – حجية فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة . لشهودهم التنزيل ، وتلقيهم التأويل عن الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وفهموا مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم أفقه الأمة ، وأبرهم قلوبا ، وأعمقهم علما ، وأقلهم تكلفا ، وأصحهم قصودا ، وأكملهم فطرة ، وأتمهم إدراكا ، وأصفاهم ذهنا ، وليس من سمع وعلم ورأى حال المتكلم ، كمن كان غائبا لم ير ولم يسمع ، أو سمع وعلم بواسطة ، وعليه فالرجوع إلى ما كان عليه الصحابة من الدين والعلم متعين قطعا على من جاء بعدهم ممن لم يشركهم في تلك الفضيلة – فضيلة الصحبة –"والفرق بينهم وبين من بعدهم في ذلك كالفرق بينهم وبينهم في الفضل؛ فنسبة رأي من بعدهم إلى رأيهم كنسبة قدرهم إلى قدرهم.

قال الشافعي – رحمه الله – في رسالته البغدادية التي رواها عنه الحسن بن محمد الزعفراني، وهذا لفظه: وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، أدوا إلينا سنن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وشاهدوه والوحي ينزل عليه فعلموا ما أراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عاما وخاصا وعزما وإرشادا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكي لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، أو

قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول، ولم نخرج عن أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله " انظر : إعلام الموقعين (١ / ٧٩ – ٨٠ ، ٤ / ١٤٧ – ١٥٠) ، ومختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٣٤٥، ٣٤٦).

ومن المعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب ، وجرى على معهودهم في الكلام ، وعادتهم في الخطاب ، فكل من تضلع في لسان العرب كان للقرآن أشد فهما وأحسن إدراكا ، ولا يعلم أحد أفصح لسانا وأقوم خطابا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليس في الأمة من هو أفصح منهم لسانا ، فكيف إذا اقترن بذلك تلقي معاني القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذا كان من أحسن طرق تفسير القرآن ، تفسير القرآن بالقرآن ، ثم بالسنة ، ثم بأقوال الصحابة والتابعين. انظر : الصواعق المرسلة (٢ / ٥٠٩ – ٥١٠) ، ومختصره للموصلي (٢ / ٣٣٦) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣ / ٣٦٣ – ٣٧٠) .

حتى أن الإمام أحمد نص على الرجوع إلى تفسير الواحد من الصحابة للقرآن إذا لم يخالفه غيره منهم. انظر : مختصر الصواعق للموصلي (٢ / ٣٤٦) ، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص (٤٢).

ومن أدلة هذه القاعدة :

قوله تعالى : {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا}

يقول ابن تيمية : " وقد شهد الله لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان بالإيمان. فعلم قطعا أنهم المراد بالآية الكريمة " انظر : مجموع الفتاوى (٤ / ٢).

ويقول صلى الله عليه وسلم : " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...»

يقول ابن القيم معلقا على هذا الحديث : " فأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن خير القرون قرنه مطلقا، وذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير، إلا لو كانوا خيرا من بعض الوجوه، فلا يكونون خير القرون مطلقا، فلو جاز أن يخطئ الرجل منهم في حكم وسائرهم لم يفتوا بالصواب –، وإنما ظفر بالصواب من بعدهم،

وأخطئوا هم – لزم أن يكون ذلك القرن خيرا منهم من ذلك الوجه؛ لأن القرن المشتمل على الصواب خير من القرن المشتمل على الخطأ في ذلك الفن "انظر: إعلام الموقعين (٤ / ١٠٤)وانظر : شرح العقيدة الأصفهانية ص (١٨٠).

– وقال صلى الله عليه وسلم : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة "

يقول ابن القيم : " فقرن سنة خلفائه بسنته، وأمر باتباعها كما أمر باتباع سنته، وبالغ في الأمر بها حتى أمر بأن يعض عليها بالنواجذ، وهذا يتناول ما أفتوا به وسنوه للأمة، وإن لم يتقدم من نبيهم فيه شيء ..." انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٠٧)وانظر تطبيقات القاعدة في كتب شيخ الإسلام : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٧٨) وانظر : جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ١٧٠ – ١٧١).

٣ – الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة ، سواء عرفنا المعنى أم لا.

من غير اشتراط سلامته من المعارض العقلي –كما يقوله أرباب الكلام – أو موافقته للذوق والكشف كما يقوله المتصوفة .

وهذا لا يعني أن في النصوص ما لا يدرك معناه بحال ، بل معاني النصوص مفهومة من لغة التخاطب ، لكن قد يعتري الشخص من عوامل القصور ما هو مدعاة إلى عدم الفهم ، ووضوح الخطاب عنده .

يقول ابن تيمية : " فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصا في الكتاب والسنة متفق عليه بين سلف الأمة "انظر : مجموع الفتاوى (٣/ ٤١) .

ودليل هذه القاعدة :

– قوله تعالى :{أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }هذا وإن كان خطابا لليهود إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كيف وقد أمرنا بمخالفة اليهود والنصارى .

- وقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }

يقول السعدي : " وهذا يتضمن الإيمان بكل ما أخبر الله به عن نفسه وبكل ما جاءت به الرسل من الأخبار والأحكام ..." انظر :تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن ص (٢١٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: لقد جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب أن لي به حمر النعم أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة ، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا، قد احمر وجهه، رميهم بالتراب، ويقول: " مهلا يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، بل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه، فاعملوا به ، وما جهلتم منه، فردوه إلى عالمه".

يقول ابن تيميه : " فهذا الحديث ونحوه مما ينهى فيه عن معارضة حق بحق، فإن ذلك يقتضي التكذيب بأحد الحقين، أو الاشتباه والحيرة ، والواجب التصديق بهذا الحق وهذا الحق، فعلى الإنسان أن يصدق بالحق الذي يقوله غيره، كما يصدق بالحق الذي يقوله هو، ليس له أن يؤمن بمعنى آية استدل بها، ويرد معنى آية استدل بها مناظره، ولا أن يقبل الحق من طائفة، ويرده من طائفة أخرى " انظر : درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٤٠٤) .وانظر : المصدر نفسه (١ / ١٤١) .

ومن جعل الإيمان بالنصوص موقوفاً على موافقة العقل أو الذوق أو سائر الأمور التي اخترعها المبتدعة ، لا فرق عنده بين وجود الرسول وعدمه ، و لا فرق بين وجود أخبار الرسول وعدمها ، وكان ما يذكر من القرآن والسنة والإجماع في هذا الباب عديم الأثر والعياذ بالله . انظر : شرح العقيدة الأصفهانية ص (٤٤)

٤ – درء التعارض بين النصوص الشرعية .

مما ينبغي اعتقاده أن النصوص الشرعية لا تعارض بينها ، ومن توهم التعارض فلقصور علمه وفساد ذهنه .

ودليل هذه القاعدة :

– {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا}ومفهومه أن القرآن لا اختلاف فيه لأنه من عند الله .

– وقال تعالى : {وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى}

يقول ابن حزم : "ويبين صحة ما قلنا من أنه لا تعارض بين شيء من نصوص القرآن ونصوص كلام النبي صلى الله عليه وسلم وما نقل من أفعاله قول الله عز وجل مخبرا عن رسوله عليه السلام {وما ينطق عن لهوى * إن هو إلا وحي يوحى}" انظر : الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٢ / ٣٥) .

– وقال صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ منه فردوه إلى عالمه " .

يقول الشافعي : " ...وأنْ يعْلم أنَّ أحكامَ اللهِ ثمَّ أحكامَ رسولِه لا تختلف، وأنها تجري على مثال واحد " انظر : الرسالة ص (١٧٣) .

ويقول ابن خزيمة : " لَا أَعْرِفُ أَنَّهُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَانِ بِإِسْنَادَيْنِ صَحِيحَيْنِ مُتَضَادَّانِ ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَلْيَأْتِ بِهِ حَتَّى أُؤَلِّفَ بَيْنَهُمَا» انظر :الكفاية للخطيب البغدادي ص (٤٣٢ – ٤٣٣). وانظر تطبيقات هذه القاعدة في صنيع الإمام أحمد عند رده على الجهمية ، والطحاوي في مشكل الآثار ، والشافعي في الرسالة .فحملوا المطلق على المقيد ، والخاص على العام .

٥ – درء التعارض بين العقل والنقل .

فالشريعة كلها بأخبارها وأحكامها ليس فيها ما يعلم بطلانه بالعقل ، بل العقل يشهد بصحتها على الإجمال والتفصيل .

أما الإجمال : فمن جهة شهادة العقل بصحة النبوة وصدق الرسول ، صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبر به من الكتاب والحكمة .

أما التفصيل : فمسائل الشريعة ليس فيها ما يرده العقل بل ما أدركه العقل من

مسائلها فهو يشهد له بالصحة تصديقا وتعضيدا ، وما قصر العقل عن دركه من مسائلها فهذا لعظم الشريعة وتفوقها ، ومع ذلك العقل لا يمنع وقوعها . فالشريعة قد تأتي بما يحير العقول لا بما تحيله العقول .

دليل هذه القاعدة :

- قال تعالى : {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} فهذه دعوة للتفكر والتدبر في كلام الله ولو كان فيه ما يصادم العقول لما دعا إلى التفكر والتدبر .

- وقال تعالى : {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}فهذه الآية ونحوها دلت على قطع الحجة وإسقاط المعذرة بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، ولو كان في العقول ما ينافي هذا الوحي لما قامت به الحجة وسقطت به المعذرة .

والآيات في وجوب تحكيم الشريعة عند التنازع والرجوع إيها كلها قاضية في وجوب تقديم النقل على العقل .

- حكى الإجماع على ذلك ابن تيمية فقال : " فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم... فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به ..." انظر : مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨). ونقل الإجماع الشاطبي في الاعتصام (٢ / ٣٣١ – ٣٣٢ ، ٣٣٦) .

٦ – ظواهر النصوص مطابقة لمراد الشارع ، ومفهومة لدى المخاطبين.

فالأصل في نصوص الصفات إجراؤها على ظاهرها دون تحريف أو تعطيل ، واعتقاد أن ظاهر يطابق مراد المتكلم ، وظاهره غاية في البيان يفهمه أهل اللسان العربي ، فمراد المتكلم إنما يكون في نفسه ، ولا يعرف إلا بالألفاظ الدالة عليه ، فحينئذ حتى نعرف مراد المتكلم لابد أن نفهم لغة المتكلم: ألفاظها وتراكيب تلك الألفاظ ، وقد جرى في معهود لغة العرب أن المعنى يفهم بمجرد تلاوة ألفاظه المعهودة معانيها في لغتهم

هذا إن كان المتكلم مريدا بكلامه الهادية والبيان ، ولا شك أن الله أنزل القرآن هداية للناس فوجب حمله على ما توجبه وتقتضيه لغة العرب .

وأدلة هذه القاعدة كثيرة منها :

– قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) فالله أخبر أن القرآن نزل بلغة العرب ، فوجب فهمه على ما يقتضيه ظاهر اللسان العربي ، وإلا لما كان هناك فرق بين أن يكون بلغة العرب أو بلغة غيرهم .

– وقال تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله) وقال (أفلا يتدبرون القرآن أم عل قلوب أقفالها) ولا يكون ذلك إلا بفهمه على ما يقتضيه ظاهر كلام العرب .وإلا اختلفت الآراء وتفرقت الأمة ولم يكن قول البعض حجة على الآخر.

– وقال صلى الله عليه وسلم : " إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين "رواه أبوداود والنسائي.

قال شيخ الإسلام : " وهذا مبالغة في استواء ظاهره وباطنه وسره وعلانيته وأنه لا يبطن خلاف ما يظهر على عادة المكارين المنافقين " انظر : مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٤٩)

– وأيضا لو كان لو كان الظاهر غير مراد لجاء البيان من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ أن تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع

٧ – الإيمان بالمتشابه ورده إلى المحكم .

أدلة القاعدة :

– قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} [آل عمران: (٧)].

– قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: " إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ سمى الله فاحذروهم"

يقول الشاطبي : " فَإِذًا، الذَّمُّ إِنَّمَا لَحِقَ مَنْ جَادَلَ فِيهِ بِتَرْكِ الْمُحْكَمِ – وَهُوَ أُمُّ

الْكِتَابِ وَمُعْظَمُهُ، وَالتَّمَسُّكِ بِمُتَشَابِهِهِ" انظر : [الاعتصام للشاطبي (١/ ٧١)].وانظر : اعتقاد أئمة الحديث للصابوني ص ٦٢ .

ويقول السعدي : " فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على بعض الناس، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضا ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة ..." انظر : تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٢٢).

- وقال صلى الله عليه وسلم : " إنَّ القرآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّب بعضُه بَعْضاً، بَلْ يُصَدِّقُ بعضُه بَعْضاً، فَما عَرَفْتُم منه؛ فاعمَلوا به، وَما جَهِلْتم منه؛ فرُدُّوهُ إلى عالِمِهِ"

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما : " نؤمن بالمحكم وندين به ، ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به ، وهو من عند الله كله " انظر : جامع البيان للطبري [٦/ ٢٠٩].

ويقول ابن تيمية : " وقد قال كثير من السلف : إن المحكم ما يعمل به ، والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به " انظر : مجموع الفتاوى (١٧ / ٣٨٦) .

٨ – لا نسخ في الأخبار [والعقيدة من الأخبار وليست من الأوامر] .

يقول السجزي : " ...لأن الخبر عن كون الشيء وصفته إذا كان صدقاً لا يجوز ورود النسخ عليه ..." انظر : رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ٢٩٠). قالوا لأن النسخ في الأخبار يفيد الكذب والشرع منزه عن ذلك وهذا قول أكثر الأصوليين

يقول ابن تيمية: (لا يدخل النسخ في الخبر في قول أكثر الفقهاء والأصوليين وقال قوم يجوز ذلك"

٩ – الوسطية في الشرائع والعقائد .

فإن أهل السنة وسط بين الفرق في مسائل الاعتقاد والمتتبع لمنهج السلف يجد هذا جليا فلا إفراط ولا تفريط قال تعالى : [وكذلك جعلناكم أمة وسطا] أي : خيارا عدولا .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " خير الأمور أوسطها " وهذه الخصيصة إنما نالوها لتمسكهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وتطهر وسطيتهم في باب الأسماء والصفات بين أهل الإفراط في الإثبات وهم الممثلة وبين أهل التفريط وهم المعطلة .

وفي باب الأسماء والأحكام بين أهل الإفراط الوعيدية الذين حكموا بكفر صاحب الكبيرة مثل الخوارج أو منزلة بين المنزلتين كالمعتزلة وأنه مخلد في النار وبين أهل التفريط وهم المرجئة وخاصة غلاتهم الذين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب .

وَهُمْ وَسَطٌ فِي: بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى.

بَيْنَ «الْقَدَرِيَّةِ» ، «وَالْجَبْرِيَّةِ» .

وهم وسط في باب صحابة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بَيْنَ «الرَّوَافِضِ» ، وَبَيْنَ «الْخَوَارِجِ» .

يقول ابن تيمية : " بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ.فَهُمْ وَسَطٌ فِي: بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ «الْجَهْمِيَّةِ» ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ «الْمُشَبِّهَةِ» ، وَهُمْ وَسَطٌ فِي: بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ «الْقَدَرِيَّةِ» ، «وَالْجَبْرِيَّةِ» وَفِي: بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ بَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» ، وَبَيْنَ «الْوَعِيدِيَّةِ» مِنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَغَيْرِهِمْ وَفِي: بَابِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ «الْحَرُورِيَّةِ» «وَالْمُعْتَزِلَةِ» ، وَبَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» «وَالْجَهْمِيَّةِ» وَفِي: أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ «الرَّوَافِضِ» ، وَبَيْنَ «الْخَوَارِجِ» " انظر :العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة (ص: ٨٢) .

وأما مصادر التلقي في العقيدة عند أهل البدع ومنهج استدلالهم كما يلي :

فأما الدليل : فإن أهل البدع والأهواء يعتمدون في عقيدتهم على مصادر تخالف مصادر أهل السنة كالعقل أو السنة فقط دون القرآن أو الرؤى والمنامات أو المنطق والفلسفة أو الأحاديث الموضوعة أو عقائد الأديان الوثنية .

فالخوارج مثلاً : يأخذون بظاهر القرآن وأما السنة لا يأخذون منها إلا ما فسر بها القرآن ولذا ينكرون الرجم والمسح على الخفين .

وإذا نظرت إلى مصادر التلقي عند الصوفية تجدهم يعتمدون على الكشف والرؤى والمنامات إلخ .

وإذا نظرت في أهل الكلام تجدهم يعتمدون في تلقي المعتقد على القوانين العقلية الفاسدة ، فتجدهم يقدمون العقل على النقل ، ويقولون إذا تعارض العقل مع النقل ، فإما أن يكون النقل من القرآن فعند ذلك يسلكون مسلك التأويل والتفويض ، وإما أن يكون النقل من السنة فعند ذلك يسلكون مسلك التكذيب إن كان الخبر آحادا ، وإن كان الخبر متواترا سلكوا فيه مسلك التأويل .

وإذا نظرت في القرآنيين فإنهم لا يستدلون إلا بالقرآن ولا يلتفتون إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما منهج الاستدلال : فإن أهل الأهواء والبدع لهم قواعد معلومة في التعامل مع مصادر التلقي ، وكل طائفة منهم تميزت وعرفت بمسلك من هذه المسالك، ومن تلك القواعد :

١ – عدم احتجاجهم بخبر الآحاد في الاعتقاد .

فإن المعتزلة ومن وافقهم من الأشاعرة والماتريدية قالوا بعدم حجية خبر الآحاد في الاعتقاد لأنه ظنيٌ لا يفيد اليقين ، ومسائل الاعتقاد مسائل يقينية يطلب فيها القطع .

يقول القاضي عبدالجبار (... إن جميع ما رووه وذكروه أخبار آحاد ولا يجوز قبول ذلك فيما طريقه العلم لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط ...وإنما يعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين ، وما يصح أن يتبع العمل به غالب الظن ، فأما ما عداه فإن قبوله فيه لا يصح ، ولذلك لا يرجع إليه في معرفة التوحيد والعدل وسائر أصول

الدين ...) انظر : [المغني في أبواب التوحيد والعدل (٤ / ٢٢٥) وانظر : [الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص (١٦١)] للجويني وأساس التقديس للرازي ص (٢٠٥)].

* مناقشة دعوى عدم الاستدلال بآخبار الآحاد في العقيدة :

أ – مصادمة الكتاب والسنة

أما الكتاب :

كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} هذه الآية دالة على التثبت من خبر الفاسق ، فإن قام على خبره شواهد دالة على صدقه فيجب قبوله والعمل به ، ولهذا لم يأمر الله برد خبره مطلقاً ، وكذلك الآية تفيد أن هناك فرقًا بين خبر الواحد العدل ، وخبر الفاسق وأن التثبت في الثاني دون الأول ، فلو كان خبره لا يفيد علماً ؛ لأمر بالتثبت فيه ، فمن مفهومي الشرط والصفة ؛ يؤخذ قبول خبر الواحد. انظر : مختصر الصواعق ص(٥٧٧) ، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١ / ٢٨٠ –٢٨٢)

وقوله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}فإن الله أمر بالأخذ بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقاً بما في ذلك أخبار الآحاد.

وأما السنة :

فمنها : قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وقد أرسله إلى اليمن : " إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ..".

فهذا الحديث يدل على قبول خبر الواحد في العقائد والأحكام ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل معاذاً وهو واحد ، وأمره بتبليغ الدين بما في ذلك التوحيد ، وهذا دليل واضح على حجية خبر الواحد في الاعتقاد ، وقد احتج به العلماء على قبول خبر الواحد والعمل به . انظر : الرسالة للشافعي ص(٤١٥ – ٤١٦) ، والحجة في بيان المحجة للتيمي (١/ ٣٧٨) ، شرح صحيح مسلم للنووي (١ / ١٩٧) ، وفتح الباري لابن حجر (٣ / ٣٦٠) .

وكذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال :" أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام قال :فأخذ بيد أبي عبيدة فقال : "هذا أمين هذه الأمة".

فقولهم : " ابعث لنا رجلاً " وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد أبي عبيدة رضي الله عنه : يدل دلالة صريحة على أن خبر الواحد يفيد العلم ويوجب العمل في الاعتقاد والأحكام ؛ لقولهم: يعلمنا الإسلام ، والإسلام عقيدة وشريعة .

يقول الشافعي –رحمه الله –: (وهو صلى الله عليه وسلم لا يبعث بأمره إلا والحجة للمبعوث عليهم قائمة بقبول خبره صلى الله عليه وسلم ، وقد كان قادراً على أن يبعث إليهم فيشافههم ، أو يبعث إليهم عدداً ، فبعث واحداً يعرفونه بالصدق" انظر : الرسالة للشافعي ص(٤٠٥) مع تصرف يسير .

ب – مخالفة الإجماع:

فقد أجمع السلف على حجية خبر الآحاد في الاعتقاد والأحكام ، وقد نقل غير واحد من العلماء هذا الإجماع عنهم ، وممن نقله :

١ – الشافعي، حيث قال :(ولم يزل سبيل سلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدناه هذه السبيل، وكذلك حكي لنا عمن حكي لنا عنه من أهل العلم بالبلدان. قال: وجدنا سعيداً بالمدينة يقول: أخبرني أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصرف فيُثبّتُ حديثه سنة. ويقول: حدثني أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيثبت حديثه سنة، ويروي عن الواحد غيرهما فيثبت حديثه سنة ... وغيرهم من محدثي المدينة كلهم يقولون: حدثني فلان لرجل من أصحاب النبي عن النبي صلى الله عليه وسلم أو من التابعين عن رجل من الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فنُثبت ذلك سنة، ووجدنا عطاء وطاووس ومجاهد ...، ومحدثي الناس وأعلامهم بالأمصار كلهم يحُفظ عنه تثبيت خبر الواحد عن رسول صلى الله عليه وسلم والانتهاء إليه والإفتاء به. ويقبله كل واحد منهم عمن فوقه ، ويقبله عنه من تحته، ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه، بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبّته جاز لي. ولكن

أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد ، بما وصفت من أن ذلك موجود على كلهم) انظر : [الرسالة للشافعي ص(٤٥٠ – ٤٥٣)].

٢ – وممن نقله شيخ الإسلام – رحمه الله – ، حيث قال : (وهذا مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمة الإسلام أن الخبر الصحيح مقبول مصدق به في جميع أبواب العلم، لا يفرق بين المسائل العلمية والخبرية ، ولا يرد الخبر في باب من الأبواب سواء كانت أصولا أو فروعا بكونه خبر واحد ، فإن هذا من محدثات أهل البدع المخالفة للسنة والجماعة " انظر : [جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية (ص٥٠)].

٣ – وكذلك ذكر الاجماع ابن القيم – رحمه الله – ،حيث قال : (وأما المقام الثامن: وهو انعقاد الإجماع المعلوم المتيقن على قبول هذه الأحاديث وإثبات صفات الرب تعالى بها، فهذا لا يشك فيه من له أقل خبرة بالمنقول؛ فإن الصحابة هم الذين رووا الأحاديث، وتلقاها بعضهم عن بعض بالقبول، ولم ينكرها أحد منهم على من رواها، ثم تلقاها عنهم جميع التابعين من أولهم إلى آخرهم، ومن سمعها منهم تلقاها بالقبول والتصديق لهم، ومن لم يسمعها منهم تلقاها عن التابعين كذلك، وكذلك تابع التابعين مع التابعين " انظر : [مختصر الصواعق ص (٦٠٥)]

ج – الاضطراب والتناقض :

فالتفريق بين الأصول والفروع في الاحتجاج بخبر الآحاد باطل ؛ لا دليل عليه ، فكما أثبتم الأحكام الفقهية بخبر الآحاد وجب عليكم إثبات الأحكام العقدية بها، فما الفرق بين باب الفقه وباب العقيدة بحيث يحتج بها في أحدهما دون الآخر .

يقول ابن القيم :(إن هذه الأخبار لو لم تفد اليقين فإن الظن الغالب حاصل منها ، ولا يمتنع إثبات الأسماء والصفات بها كما لا يمتنع إثبات الأحكام الطلبية بها ، فما الفرق بين باب الطلب وباب الخبر بحيث يحتج بها في أحدهما دون الآخر ، وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة ؛ فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات كما يحتج بها في الطلبيات العمليات، ولا سيما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا وأوجبه ورضيه ديناً ...ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم من أهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر

والأسماء والأحكام ، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوّز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته فأين السلف المفرقين بين البابين ؟! نعم سلفهم بعض متأخري المتكلمين الذين لا عناية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه ..." انظر : [مختصر الصواعق المرسلة ص(٥٩٠)]

د – عدم قبول خبر الآحاد مطلقاً يوجب تخطئة الصحابة رضي الله عنهم واتهامهم بما لا يليق بمن سواهم فضلاً عنهم .

يقول ابن القيم : (ومشهور معلوم استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم إليها ، فهذا إجماع منهم على القول بأخبار الآحاد ، وكذلك أجمع أهل الإسلام متقدموهم ومتأخروهم على رواية الأحاديث في صفات الله تعالى ، وفي مسائل القدر والرؤية ، وأصول الإيمان ، والشفاعة ، والحوض ، وإخراج الموحدين من المذنبين من النار، ...وهذه الأشياء علمية لا عملية ، وإنما تروى لوقوع العلم للسامع بها ، فإذا قلنا خبر الواحد لا يجوز أن يوجب العلم ، حملنا أمر الأمة في نقل هذه الأخبار على الخطأ ، وجعلناهم لاغين هازلين مشتغلين بما لا يفيد أحداً شيئاً ولا ينفعه ، ويصير كأنهم قد دونوا في أمور الدين ما لا يجوز الرجوع إليه والاعتماد عليه " انظر : [مختصر الصواعق المرسلة ص(٥٨٦)]

هـ – أن هذا القول محدث ولم يعرف إلا عن جهة غير مأمونة على شرع الله وقد قال صلى الله عليه وسلم : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " .

٢ – لا يؤمنون بنصوص الكتاب والسنة ، إلا إذا كانت سالمة من المعارض العقلي – كما يقوله أرباب الكلام وغيرهم – أو تكون موافقة للذوق والكشف كما يقوله المتصوفة . ولذا وجد منهم من ينكر حديث الذباب الذي أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبيد بن حنين، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء". وكذلك ينكرون حديث شرب العسل الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد: أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه عسلا» ثم أتى الثانية، فقال: «اسقه عسلا» ثم أتاه الثالثة فقال: «اسقه عسلا»

ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال: «صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلا» فسقاه فبرأ " . انظر :فتح الباري (١٠ / ١٦٩ – ١٧٠).

وكذلك ينكرون الصراط والبرزخ والميزان . انظر : الاعتصام للشاطبي (٢ / ٣٢ – ٣٦)

٣ – عدم الاحتجاج بفهم السلف الصالح .

يقول ابن تيمية : " وهؤلاء [أي : الصحابة رضي الله عنهم]هم أفضل الخلق من المنتسبين إلى العلم والعبادة، وأبو حامد لم ينشأ بين من كان يعرف طريقة هؤلاء ولا تلقى عن هذه الطبقة ولا كان خبيرا بطريقة الصحابة والتابعين بل كان يقول عن نفسه أنه مزجي البضاعة في الحديث ولهذا يوجد في كتبه من الأحاديث الموضوعة والحكايات الموضوعة ما لا يعتمد عليه من له علم بالآثار، ولكن نفعه الله تعالى بما وجده في كتب الصوفية والفقهاء من ذلك كتاب أبي طالب «٢» ورسالة القشيري «٣» وغير ذلك ..." انظر : شرح العقيدة الأصفهانية ص (١٨٠)

٤ – تقديم العقل على النقل

فإن أهل الأهواء والبدع يؤصلون بعقولهم الفاسدة أصولا يتخذونها دينا يعارضون بها الكتاب والسنة ، فإن وافقت أصولهم احتجوا به اعتضادا لا اعتمادا ، وإن خالفت أصولهم ، سلكوا عند ذلك عدة مسالك ، منها :

أ – رد النصوص إن كانت أحاديث ، ولا سيما خبر الآحاد .

ب – أو سلكوا مسلك التحريف وهو صرف الألفاظ عن ظواهرها التي وضعت لها .

ج – أو سلكوا مسلك التفويض .

*** بطلان دعوى تقديم العقل على النقل :**

أبطل أهل العلم هذه الدعوى بأكثر من أربعين وجهاً، منها :

١ – تقديم العقل على النقل ، مصدام للنصوص الصريحة التي فيها الأمر اتباع الوحي وعدم تقديم غيره عليه ، كقوله تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}وقوله:{وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا (٣٦) } فاللَّه أرسل الوحى وأمرنا بتصديق ما جاء فيه من أخبار وتنفيذ ما جاء فيه من أوامر، وقد أمرنا بتوحيده وإفراده عمن سواه، وأن نقف عند حدود مداركنا، فهو ليس كمثله شئ مما نرى أو نسمع فى عالم الشهادة

٢ – تقديم العقل عل النقل مخالف لإجماع أهل السنة .

٣ - لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَتَعَارَضَ عَقْلٌ صَرِيحٌ وَنَقْلٌ صَحِيحٌ أَبَدًا. فإن كَانَ النَّقْلُ صَحِيحًا فَذَلِكَ الَّذِي يُدَّعَى أَنَّهُ مَعْقُولٌ إِنَّمَا هُوَ مَجْهُولٌ، وَإِنْ كَانَ النَّقْلُ غَيْرَ صَحِيحٍ فَلَا يَصْلُحُ لِلْمُعَارَضَةِ

٤ –مَنْ يَقُولُ بتقديم العقل عل بالنقل، نعارضه بعكس القضية، فنقول له: إِذَا تَعَارَضَ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ وَجَبَ تَقْدِيمُ النَّقْلِ، لِأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْمَدْلُولَيْنِ جَمْعٌ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ، وَرَفْعُهُمَا رَفْعُ النَّقِيضَيْنِ، وَتَقْدِيمُ الْعَقْلِ مُمْتَنِعٌ، لِأَنَّ الْعَقْلَ قَدْ دَلَّ عَلَى صِحَّةِ السَّمْعِ وَوُجُوبِ قَبُولِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَوْ أَبْطَلْنَا النَّقْلَ لَكُنَّا قَدْ أَبْطَلْنَا دَلَالَةَ الْعَقْلِ، وَلَوْ أَبْطَلْنَا دَلَالَةَ الْعَقْلِ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يَكُونَ مُعَارِضًا لِلنَّقْلِ، لِأَنَّ مَا لَيْسَ بِدَلِيلٍ لَا يَصْلُحُ لِمُعَارَضَةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَكَانَ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ مُوجِبًا عَدَمَ تَقْدِيمِهِ، فَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ. وَهَذَا بَيِّنٌ وَاضِحٌ، فَإِنَّ الْعَقْلَ هُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَى صِدْقِ السَّمْعِ وَصِحَّتِهِ، وَأَنَّ خَبَرَهُ مُطَابِقٌ لِمُخْبِرِهِ، فَإِنْ جَازَ أَنْ تَكُونَ الدَّلَالَةُ بَاطِلَةً لِبُطْلَانِ النَّقْلِ لَزِمَ أَنْ لَا يَكُونَ الْعَقْلُ دَلِيلًا صَحِيحًا، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ دَلِيلًا صَحِيحًا لَمْ يَجُزْ أَنْ يُتَّبَعَ بِحَالٍ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُقَدَّمَ، فَصَارَ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ عَلَى النَّقْلِ قَدْحًا فِي الْعَقْلِ.

وهذا مثل ما لو أن إنساناً كان في صحراء فتاه عن الطريق وهو يريد الذهاب إلى منطقة معينة، فلم يهتد للطريق فوجد رجلاً عرف من حاله وكلامه أنه خبير بالطريق الموصلة إلى البلدة التي يريد الذهاب إليها، فطلب منه أن يرشده الطريق. فهل يليق بعد ذلك أن يعترض عليه ويأبى أن ينقاد إليه؟ إنه إن فعل ذلك فهذا دليل على أنه لم يقر للرجل بأنه خبير بالطريق، وفي ذلك طعن في حكمه على الشخص من قبل بأنه خبير بالطريق.

مثال آخر : أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير، فإن العامي يمكنه أن يصير عالماً، ولا يمكن العالم أن يصير نبياً رسولاً، فإذا عرف

العامي المقلد عالماً فدل عليه عامياً آخر، ثم اختلف المفتي والدال، فإن المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي دون الدال، فلو قال الدال: الصواب معي دون المفتي، لأني أنا الأصل في علمك بأنه مفت، فإذا قدمت قوله على قولي قدحت في الأصل الذي به عرفت أنه مفتٍ، فلزم القدح في فرعه. فيقول له المستفتي: أنت لما شهدت له بأنه مفت، ودللت عليه، شهدت له بوجوب تقليده دونك، فموافقتي لك في هذا العلم المعين لا يستلزم موافقتك في كل مسألة، وخطؤك فيما خالفت فيه المفتي الذي هو أعلم منك لا يستلزم خطأك في علمك؛ لأنه مفت. هذا مع علمه أن ذلك المفتي قد يخطئ١، والعقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله تعالى لا يجوز عليه الخطأ، فيجب عليه التسليم له، والانقياد لأمره.

٥ – إذا تعارض النقل والعقل، وجب تقديم النقل، لأن العقل مصدق للنقل في كل ما أخبر به، والنقل لم يصدق العقل في كل ما أخبر به.

٦ — من المعلوم بالاضطرار أن عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل عقول أهل الأرض على الإطلاق، فلو وزن عقله بعقولهم لرجحها، وقد أخبر الله أنه قبل الوحي لم يكن يدري الإيمان، كما لم يكن يدري الكتاب، فقال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى: ٥٢] . وقال تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى} [الضحى: ٦-٨] وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر سورة الشورى.

فإذا كان أعقل الخلق على الإطلاق إنما حصل له الهدى بالوحي؛ كما قال تعالى: {قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} [سبأ:٥٠] فكيف يحصل لسفهاء العقول، وأخفاء الأحلام: الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم، دون نصوص الوحي، حتى اهتدوا بتلك الهداية إلى المعارض بين العقل ونصوص الأنبياء {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً} [مريم:٨٩-٩٠] .

٧ – ما هو العقل الذي يجعلونه مقدماً على الشرع؛ هل هو عقل الفلاسفة اليونانيين الوثنيين أم عقول الجهمية، أم عقول المعتزلة أم عقول الأشاعرة؟ فهؤلاء جميعا يدعون العقل وهم مختلفون. فأي عقل من تلك العقول يزعم هؤلاء المتكلمون أنه مقدم على الشرع.

والواقع أنهم يقدمون عقل اليونانيين الوثنيين المشركين على كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم. فأي فساد في الدين أعظم من هذا وأي انحراف أكبر من هذا نعوذ بالله من الخذلان

٨ –أن من زعم أنه لا يقبل الشرع إلا إذا وافقه العقل فيه شبه من إبليس حيث رد الأمر بما يرى أنه حجة عقلية، فقد أمره الله تعالى بالسجود، فاحتج على ذلك بأنه خير من المسجود له لأنه خلق من نار وآدم خلق من طين فعارض الأمر بعقله فاستحق اللعن والإبعاد من رحمة الله.

٩ – هذه العقيدة أحدثها أهل الكلام ولا تعرف إلا عنهم ابتداء وهم مبتدعة لا يؤتمنون على دين الله وقد قال صلى الله عليه وسلم : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " .

١٠ – الناس متفقون علي أن كثيراً مما جاء به الرسول معلوم بالاضطرار من دينه، كإيجاب العبادات وتحريم الفواحش والظلم، وتوحيد الصانع وإثبات المعاد وغير ذلك.

وحينئذ فلو قال قائل: إذا قام الدليل العقلي القطعي علي مناقضة هذا فلا بد من تقديم أحدهما: فلو قدم هذا السمعي قدح في أصله، وإن قدم العقلي لزم تكذيب الرسول فيما علم بالاضطرار أنه جاء به، وهذا هو الكفر الصريح .

١١ – أن الواضع لهذا القانون هو الذي قال في آخر حياته :

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعى العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ، {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} ، وأقرأ في النفي: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ، {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً} . ثم قال: "ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتابه "نهاية الأقدام في علم الكلام"

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ... ذقن أو قارعا سن نادم "

وغيرهم كثير ممن قدم العقل على النقل فوقع في الحيرة والشك ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فإن الإيمان لا يثبت في القلب إلا بالتسليم والاستسلام للشرع، أما معارضته بالشبه العقلية وعرضه عليها فإن ذلك مورث للشك والحيرة، وهذا أمر معلوم مجرب، وقد صرح به كبار أئمة الكلام، حيث أكدوا أنهم قد أوقعوا أنفسهم في الحيرة والشك، الذي نسأل الله العافية لا مخرج منه، وذلك لأنهم قد هدموا يقينهم، وخلخلوا عقيدتهم بالشبه العقلية والمناهج الفلسفية.

وغالب ممن قال بهذا القانون الرازي في أساس التقديس (ص: ١٧٢) ، والغزالي في كتابه قانون التأويل ، والجويني في الإرشاد (ص: ٣٥٨) ، والقاضي أبو بكر بن العربي في قانون التأويل له (ص: ٦٤٦-٦٤٧) هذه حالهم .

وقد رد عليهم شيخ الإسلام في كتابه درء التعارض من أربعة وأربعين وجهاً. انظر :[درء التعرض لشيخ الإسلام ابن تيمية (١ / ١٧٠) وما بعدها ، وبيان تلبيس الجهمية وغير ذلك من كتبه وانظر: الصواعق المرسلة لابن القيم].

والحق أنه لا يمكن تعارض نقل صحيح مع عقل صريح البتة ،ومن توهم ذلك فليعلم أن السبب في هذا التوهم :

- إما النقل المستدل به لا تقوم به حجة
- أو أن العقل فاسد

٥- رد بعض نصوص الشريعة وعدم الاحتجاج بها بسبب وجود تعارض بزعمهم.

فالجهمية مثلاً ينفون رؤية الله يوم القيامة ويحتجون بقوله تعالى : {لا تدركه الأبصار} ويضعفون حديث : "إنكم سترون ربكم كما ترون هذ القمر لا تضامون في رؤيته " .

وأيضا ذكر الإمام أحمد في بداية كتابه الرد على الزنادقة جملة من الآيات التي شكت فيها الزنادقة واذعت فيها التعارض .

ومن هذا القبيل ما توهمه زعيم طائفة الأزارقة من الخوارج في بعض الآيات من التعارض .فقد أخرج البخاري تعليقا عن سعيد بن جبير، قال: قال رجل [وهو نافع بن الأزرق] لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: {فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [المؤمنون: ١٠١]، {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون} [الصافات: ٢٧] {ولا يكتمون الله حديثا} [النساء: ٤٢]، {والله ربنا ما كنا مشركين} [الأنعام: ٢٣]، فقد كتموا في هذه الآية؟ وقال: {أم السماء بناها} [النازعات: ٢٧] إلى قوله: {دحاها} [النازعات: ٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: {أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين} [فصلت: ٩] إلى قوله: {طائعين} [فصلت: ١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء؟ وقال: {وكان الله غفورا رحيما} [النساء: ٩٦]، {عزيزا حكيما} [النساء: ٥٦]، {سميعا بصيرا} [النساء: ٥٨] فكأنه كان ثم مضى؟ فقال: {فلا أنساب بينهم} [المؤمنون: ١٠١]: " في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور: {فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله} فلا أنساب [ص:١٢٨] بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة، {أقبل بعضهم على بعض يتساءلون} [الصافات: ٢٧] وأما قوله: {ما كنا مشركين} [الأنعام: ٢٣]، {ولا يكتمون الله حديثا} [النساء: ٤٢]، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين، فختم على أفواههم، فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثا، وعنده: {يود الذين كفروا} [البقرة: ١٠٥] الآية، وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء، ثم استوى إلى

السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: {دحاها} [النازعات: ٣٠]. وقوله: {خلق الأرض في يومين} [فصلت: ٩]. فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين، {وكان الله غفورا رحيما} [النساء: ٩٦] سمى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلا من عند الله "

والذي أوقعهم في هذا الزعم الباطل هو :

جهلهم بسعة لسان العرب وقد نزل القرآن بلغتهم. وأيضا جهلهم بمسالك دفع التعارض كحمل العام على الخاص ، والمطلق على المقيد ، أو يكونا الدليلين في حالين مختلفين إلخ...

٦ – صرف ألفاظ النصوص عن ظاهرها بغير دليل [التأويل المذموم] .

المتأمل في مقالات الفرق الضالة يجد أنهم يتلاعبون في النصوص بحسب عقولهم وأهوائهم ، فمنهم من يصرف نصوص المعاد والبعث عن ظاهرها كالباطنية ، ومنهم من يصرف نصوص الصفات عن ظاهرها كأهل الكلام ، ومنهم من يصرف نصوص الشرك عن ظاهرها كالصوفية وهلم جرا فمستقل ومستكثر.

٧ – اتباع المتشابه وترك المحكم

فإن أهل الأهواء والبدع من كرقهم أنهم يتبعون المتشابه ويدعون المحكم ابتغاء الفتنة .

جَاءَ عَنْ أَبِي غَالِبٍ وَاسْمُهُ حَزَوَّرٌ قَالَ: «كُنْتُ بِالشَّامِ، فَبَعَثَ الْمُهَلَّبُ سَبْعِينَ رَأْسًا مِنَ الْخَوَارِجِ، فَنُصِبُوا عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ، فَكُنْتُ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لِي فَمَرَّ أَبُو أُمَامَةَ فَنَزَلْتُ فَاتَّبَعْتُهُ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا يَصْنَعُ السُّلْطَانُ بِبَنِي آدَمَ! قَالَهَا ثَلَاثًا كِلَابُ جَهَنَّمَ، كِلَابُ جَهَنَّمَ، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ.

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ، فَقَالَ: أَبَا غَالِبٍ! إِنَّكَ بِأَرْضٍ هُمْ بِهَا كَثِيرٌ، فَأَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ.

قُلْتُ: رَأَيْتُكَ بَكَيْتَ حِينَ رَأَيْتَهُمْ.

قَالَ: بَكَيْتُ رَحْمَةً حِينَ رَأَيْتُهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، هَلْ تَقْرَأُ سُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

فَقَرَأَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} [آل عمران: ٧] حَتَّى بَلَغَ: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: ٧] وَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ، فَزِيغَ بِهِمْ.

ثُمَّ قَرَأَ: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [آل عمران: ١٠٥] إِلَى قَوْلِهِ {فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: ١٠٧].

قُلْتُ: هُمْ هَؤُلَاءِ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: مِنْ قِبَلِكَ تَقُولُ أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قَالَ: إِنِّي إِذًا لَجَرِيءٌ، بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا مَرَّةً، وَلَا مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعًا. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَزِيدُ عَلَيْهَا فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا السَّوَادُ الْأَعْظَمُ.

قُلْتُ: يَا أَبَا أُمَامَةَ! أَلَا تَرَى مَا فَعَلُوا؟

قَالَ: {عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ} [النور: ٥٤] الْآيَةَ». انظر : [رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد برقم ٦٨ (١ / ٣٤]

وَذَكَرَ الْآجُرِّيُّ عَنْ طَاوُسٍ ؛ قَالَ: " ذُكِرَ لِابْنِ عَبَّاسٍ الْخَوَارِجُ وَمَا يُصِيبُهُمْ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: يُؤْمِنُونَ بِمُحْكَمِهِ، وَيَضِلُّونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ. وَقَرَأَ: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} [آل عمران: ٧]. انظر : الشريعة للآجري ص ٢٧.

يقول الشاطبي : " فَقَدْ ظَهَرَ بِهَذَا التَّفْسِيرِ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْبِدَعِ؛ لِأَنَّ أَبَا أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعَلَ الْخَوَارِجَ دَاخِلِينَ فِي عُمُومِ الْآيَةِ، وَأَنَّهَا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ... وَجَعَلَ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مِمَّنْ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَزِيغَ بِهِمْ، وَهَذَا الْوَصْفُ مَوْجُودٌ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ كُلِّهِمْ" انظر : الاعتصام للشاطبي ت الهلالي (١/ ٧٤)

٨ – الإفراط أو التفريط

المتأمل في عقائد أهل البدع يجد أنهم أهل إفراط أو تفريط .

فالممثلة غلوا في باب الإثبات وجفوا في باب التنزيه ، والمعطلة غلوا في باب التنزيه ، وجفوا في باب الإثبات .

والوعيدية غلوا في باب الوعيد ، والمرجئة غلوا في باب الوعد .

والروافض غلوا في آل البيت وجفوا في الصحابة رضي الله عنهم ، والنواصب جفوا في آل البيت والصحابة رضي الله عنهم .

فالشاهد أن أهل البدع لا وسطية عنهم في أبواب الاعتقاد ، ولا غرابة في ذلك ، إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم خطا مستقيما وخط خطوطا عن يمينه وشماله وأشار إلى الخط المستقيم وتلا :" وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " هذا هو الطريق المستقيم وهذا هو الحق والوسط الذي من حاد عنه ضل .

مذكرة توحيد ١

[القسم الثاني : توحيد الربوبية والرد على المخالفين]

المسألة الأولى
أدلة وجود الله

وجود الله تعالى من الأمور المتقررة شرعا وعقلا وفطرة وحساً ، فهي أرسخ المعارف، وأثبت العلوم، وأصل الأصول، كيف لا ووجوده سبحانه وربوبيته أظهر من كل شيء على الإطلاق فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده ، فما ينكره إلا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته وكلها تكذبه . انظر : [مجموع الفتاوى (٢ / ٧٢)].

وقد بسط العلماء الأدلة الكثيرة على وجود الله ، منها :

١ – دليل الفطرة – وهو ما يعرف بدلالة الضرورة – **[وهو : ما جبل وخلق عليه الإنسان من إثبات وجود الله وربوبيته وألوهيته]**

فمعرفة الله فطرية ضرورية لا يمكن إنكارها ، يقول ابن تيمية :" والقول بإثبات الله أمر فطري ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق ، وهو مما خلقوا عليه وجبلوا عليه ، وجعل علما ضروريا لهم لا يمكن لأحد جحده " انظر : درء التعارض [(٨ / ٤٨٤ – ٤٨٨) بتصرف].

وهذا الدليل قائم على **مقدمتين ونتيجة :**

المقدمة الأولى : أن الاعتراف بوجود إله خالق متصف بالكمال المطلق من العلم الضروري الذي لا يمكن دفعه

المقدمة الثانية : كل علم ضروري لا بد من وجوده خارج الذهن

النتيجة : أن المعرفة الفطرية الضرورية بوجود إله متصف بالكمال المطلق دالة على وجود الله خارج الذهن .

وقد دلت النصوص الشرعية على أن الله تعالى خلق عباده على الفطرة وهي الإسلام .

كما قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم: ٣٠]. وقوله :{فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم: ٣٠]. والحنيفية هي الاستقامة بإخلاص الدين لله وذلك يتضمن حبه تعالى والذل له لا يشرك به شيئا لا في الحب ولا في الذل . انظر : [جامع الرسائل لابن تيمية – تحقيق : رشاد سالم – (٢/ ٨٦)].

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"
وفي رواية ابن نمير : " ما من مولود يولد إلا وهو على الملة "
فتبين أن التهويد والتنصير والتمجيس الذي يكون من قبل الأبوين، والذي يكون من قبل الشيطان، كل ذلك تغيير عن فطرة الإسلام التي فطر الله الناس عليها. فلذلك اقتصر النبي ﷺ في أحوال التبديل على ملل الكفر دون ملة الإسلام، ولو كانت الفطرة هنا شيئاً غير الإسلام، لكان الرسول ﷺ قد ذكر الإسلام في جملة ما ذكر من الأديان التي تُفسِد الفطرة بالتحول إليها بفعل الأبوين أو الشياطين، ولقال "فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو يمسلمانه" ولكنه لم يذكره، لأنه الدين الذي تتغير الفطرة بتحولها عنه وليس بتحولها إليه، فثبت أن الفطرة تدل على توحيد الله وإخلاص الدين له.

يقول ابن القيم : " الفطرة حيث جاءت مطلقة معرفة باللام لا يراد بها إلا فطرة التوحيد والإسلام ، وهي الفطرة الممدوحة ..." انظر : [تهذيب السنن (٥ / ٢١٤٢ – ٢١٤٣)].

وفي الحديث القدسي: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم"

وليس المراد بالحديث أن الطفل يخلق وهو عارف لشرائع الإسلام ، ولكنّ المراد أن الفطرة تقتضي الإسلام وتوجبه ، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص

الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئًا بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سلمت عن المعارض ، فلو صرفت عن الفطرة تلك الموانع التي تمنع هدايتها لاستجابت لله ورسله، لما فيها من المقتضى لذلك. انظر : [درء تعارض العقل والنقل: (٨/ ٣٨٣ ، ٤٦٠ – ٤٦١].

٢ – الأدلة العقلية على وجود الله :

وقد تنوعت المسالك العقلية على وجود الله ، ومن هذه المسالك العقلية على وجود الله :

١ – دلالة الخلق أو الحدوث أو الاختراع والإنشاء : [وهي : الاستدلال بوجود المخلوق على وجود الخالق وربوبيته وألوهيته]

وهذا الدليل قائم على **مقدمتين ونتيجة** :

المقدمة الأولى : حدوث المحدثات أي : هذه الموجودات مخلوقة موجودة بعد عدم

المقدمة الثانية : كل مخلوق لا بد له من خالق ، وكل محدَث لابد له من محدِث.
النتيجة : أن هذه الموجودات التي وجدت بعد عدم تدل على وجود خالق لها متصف بالكمال المطلق . انظر : [الرد على المنطقيين (٢ / ١٠) ، شرح حديث النزول ص (١٢٣ – ١٢٦) ، ودرء التعارض (٣ / ٩٨ – ٩٩ ، ١١٣ ، ٢٦٥) (٧ / ٢١٩ – ٢٢٠ ، ٢٤١) (٨ / ٣٠٥ – ٣٠٧ ، ٣٣٠) ومجموع الفتاوى (١٣ / ١٥٠ – ١٥١) (١٦ / ٤٤٤ – ٤٤٥) الصفدية (٢ / ٩٩)].

وهذه الدلالة من الدلائل الضرورية التي أرشد إليها الشرع والحس ، **قال تعالى** : {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}فأمر المخلوقات لا يخلو من ثلاثة أمور :

١ – قوله : {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ}أنكر الله وجودهم بلا موجِد لأن هذا عين المحال ، لأن من الضروريات أن كل موجود لابد له من موجِد .

٢ – قوله : {أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}أنكر الله كونهم خلقوا أنفسهم وذلك أشد فساداً من الأول ؛ لأن ما لا وجود له كيف يوجد نفسه ؟ وكيف يوصف بالقدرة ؟

٣ – فإذا بطل الوجهان تعين القسم الثالث وهو: أن الله هو الذي خلق الخلق فقامت الحجة حينئذ على استحقاقه للعبادة وحده دون ما سواه .

وقال تعالى : " أفي الله شك فاطر السماوات والأرض " فقوله : فاطر السماوات والأرض استدلال بالخلق على الخالق ، والأثر على المؤثر ، فإن شواهد الخلق والحدوث دالة خالقها وموجدها سبحانه وتعالى .

سئل أحد الأعراب : ما الدليل على وجود الله ؟ فقال : سبحان الله ! إن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ألا تدل على العليم الخبير . انظر : [جواهر الأدب من خطبة قس بن ساعدة (٢ / ١٩)، والبيان والتبيين (١ / ١٦٣)].

ومن اللطائف ما يُحكى عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال له طائفة من الملاحدة: ما الدلالة على وجود الصانع؟ فقال لهم: دعوني فخاطري مشغول بأمر غريب.

قالوا: ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها.

فقالوا له: أمجنون أنت؟ قال: وما ذاك قالوا أهذا يصدقه عاقل؟ فقال: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة وهذا الفلك الدوار السيار يجري وتحدث هذه الحوادث بغير محدث، وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك؟ فرجعوا على أنفسهم بالملام وهكذا إذ قيل: فهذه السفينة أثبتت نفسها في الساحل بغير موثق اوثقها ولا رابط ربطها، كذبت العقول بذلك. فهكذا إذ قيل: إن

الحوادث تبقى وتدوم بغير مبق يبقيها، ولا ممسك يمسكها. انظر : درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٢٦) .

وهذه الدلالة – دلالة الخلق – يقول عنها ابن تيمية : " الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة ، وهي طريقة عقلية صحيحة ، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها " انظر : [النبوات (١/ ٢٩٢ – ٢٩٣) ، الفتاوى ٤ / ٢٨٢) (١٦ / ٤٤٤ – ٤٤٥) ، درء التعارض (٣ / ٨٣) (٥ / ٢٩٤ – ٢٩٥) (٧ / ٢١٩ ، ٣٠٩) (٨ /٣٥، ٣١١ – ٣١٢)، شرح الأصبهانية (٣٩٣) ، الرد على المنطقيين (١ / ١٥٨)].

وأيضا الكون ممكن الوجود ، وما كان كذلك فهو مخلوق ، والمخلوق لا يمكن أن يكون واجب الوجود لجواز العدم عليه ويدل عليه قوله تعالى : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد} [إبراهيم: ١٩]

٢ – دلالة العناية والإتقان والحكمة [وهي : الاستدلال بآثار الكمال في الخلق من الإحكام والإتقان والاعتناء على وجود الله وربوبيته وألوهيته].

وهذا الدليل قائم على **مقدمتين ونتيجة** :

المقدمة الأولى : هذه المخلوقات موافقة لوجود الإنسان ومهيأة له من حيث المنافع والحكم والمقاصد .

المقدمة الثانية : هذا الإحكام والإتقان وهذه الموافقة لابد لها من فاعل خالق مريد ، فإن الإتقان والإحكام لا يصدر من عدم فلابد له من حكيم خبير.

النتيجة : أن إتقان هذه المخلوقات ، وإحكام وجودها، وموافقة حكمها ومنافعها ومقاصدها لوجود الإنسان يدل على وجود خالق وفاعل ومريد أحكمها وأتقنها. انظر :

[بيان تلبيس الجهمية (١ / ٤٩٤ – ٥٠٠)،(٢ / ٢١) (٢ / ١٩ – ٢٠ ، ١٤١ – ١٤٢) ، بدائع الفوائد ص (٤ / ١٩٠ – ١٩١) ، ودرء التعارض (٧ / ٣٠٩ – ٣١٠) (٩ / ٣٢١ – ٣٢٦) مدارج السالكين (٣ / ٣٣٩) الغنية عن الكلام وأهله للخطابي ص (١٥ – ١٦) ومجموع الفتاوى (١٣ / ١٥٠ – ١٥١) (١٦ / ٤٤٤ – ٤٤٥) الصفدية (٢ / ٩٩)].

فمن تأمل هذا الكون وما فيه من مخلوقات محكمة ، يجد أنه قد وضعت في موضعها بدقة وإحكام وعناية فائقة ، موافقة للمنفعة الموجودة ، والغاية المطلوبة ، حتى يرى أنه لو وجد بغير تلك الصفة أو بغير ذلك الوضع ، أو بغير ذلك الدر ، لم توجد فيه تلك المنفعة ، لأدرك على القطع أن لذلك خالقا حكيما خبيرا أوجده ، وأنه لا يمكن أن توجد من غير موجد .

وإذا كانت دلالة الخلق على الخالق ظاهرة ، فإن دلالة العناية والإتقان على وجوده وربوبيته وألوهيته أظهر وأبين؛ لأن العناية أخص من الخلق؛ إذ قد يُصنع الشيء بغير عناية وإتقان، وهذه العناية ظاهرة في الكائنات كلها . ولكنها في الكائنات الحية أظهر – وفي الإنسان على وجه الخصوص – أظهر وأبين .

ولذا كل نص من نصوص دلالة العناية فهو دليل على دلالة الخلق والاختراع . انظر : [درء التعارض ٩ / ٣٣١)].

ودلالة العناية أرشد إليها القرآن والحس ، قال تعالى:{ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ } وقوله تعالى :{وفي أنفسكم أفلا تبصرون} وقال تعالى: {الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ}وَقَالَ تَعَالَى: {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}

يقول ابن القيم في قوله تعالى : {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ} فالأول متضمن لأصل الخلق والإيجاد ويسمى دليل الاختراع والإنشاء والثاني متضمن للحكم المشهودة في خلقه ويسمى دليل العناية والحكمة وهو تعالى كثيرا ما يكرر هذين النوعين من الاستدلال في القرآن ونظيره قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} فذكر خلق السموات والأرض ثم ذكر منافع المخلوقات وحكمها..." انظر : بدائع الفوائد (٤/ ١٣٣) وما بعدها .

ولو أفرد الإنسان بعقله، وأحيل على صحيح نظره، لقال بما نبه السمع على مواضعه .انظر : درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٠٧) ، وانظر: تلبيس الجهمية (٢ / ١٧٢ – ١٨٢)].

وأما دلالة الأنفس ودلالة الآفاق التي وردت في قوله : وقوله تعالى :{وفي أنفسكم أفلا تبصرون} وقوله :{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} **ترجع إلى دلالة الخلق**؛ وذلك إذا نظرنا إلى أن الأنفس والآفاق وجدت بعد عدم ، **أو ترجع إلى دلالة العناية** ؛ وذلك إذا نظرنا إلى حسن صنعهما وإحكامهما فهي دالة على صانعها وخالقها وهو الله الحكيم الخبير .

٣ – دلالة الاضطرار : [وهي : الاستدلال بإجابة المضطر الملتجئ إلى الله على وجود الله وربوبيته وألوهيته].

فإن الملحد أو المشرك وقت الشدة والبلاء كثيراً ما تنكشف الحجب عن فطرته، فتزول عنها الغشاوة التي رانت عليها عند المصيبة ، فكم من ملحد عرف ربه ورجع إليه عند

الشدائد ، وكم من مشرك أخلص دينه لله لضر نزل به ، فالإنسان مجبول على معرفة الله والإقرار به ، ولا يجد السبيل إلى دفع هذه الضرورة .

قال تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}وقوله :{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ}وقوله :{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}وقوله : {وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} وقال تعالى : {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}وقوله :{قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ}

فإن العباد يجدون عند الشدائد والمصائب اضطراراً يدفعهم إلى الاعتراف بوجود الله ووحدانيته .

ومن حوادث الرجوع إلى الله وقت الاضطرار :

قصة عكرمة رضي الله عنه لما ذهب فاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة رَكِبَ الْبَحْرَ، فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: أَخْلِصُوا، فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ، لَا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا، إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلَأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ"

أخرجه النسائي وصححه الألباني .

٤ – دلالة الافتقار [وهي : الاستدلال بافتقار المخلوقات وحاجتها إلى الله إلى الخالق على وجود الله وربوبيته وألوهيته].

وهذا الدليل قائم على **مقدمتين ونتيجة** :

المقدمة الأولى : أن حدوث المخلوقات دليل افتقارها إلى محدثها

المقدمة الثانية : أن حاجتها إلى محدثها بعد إحداثه لها دليل افتقارها

النتيجة : أن افتقار المخلوقات حال حدوثها وحال بقائها دليل على وجد خالقها ورازقها ومدبر شؤونها. انظر : [درء التعارض (٣/ ١٢٥ - ١٢٧) (٣ / ١٣٨ – ١٤٢) (٩ / ٣٤٢ – ٣٤٨) الرد على المنطقيين (٢ / ٩٢) ومجموع الفتاوى (١ / ٤٥ - ٤٧) (٢ / ٩ – ١٠) (٢ / ٣٤ – ٣٦) (٦ / ١٢٥) (٢٠ / ١٨١ – ١٨٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأما فقر المخلوقات إلى الله: بمعنى حاجتها كلها إليه، وأنه لا وجود لها ولا شيء من صفاتها وأفعالها إلا به. فهذا: أول درجات الافتقار، وهو افتقارها إلى ربوبيته لها، وخلقه وإتقانه، وبهذا الاعتبار كانت مملوكة له، وله سبحانه الملك والحمد. وهذا معلوم عند كل من آمن بالله ورسله الإيمان الواجب، فالحدوث دليل افتقار الأنبياء إلى محدثها، وكذلك حاجتها إلى محدثها بعد إحداثه لها دليل افتقارها فإن الحاجة إلى الرزق دليل افتقار المرزوق إلى الخالق الرازق. انظر : مجموع الفتاوى[(١/ ٤٥ – ٤٦)].

وقال أيضا :" وهي مفتقرة إليه حال حدوثها وحال بقائها لا يمكن استغناؤها عنه لا في هذه الحال ولا في هذه الحال " انظر : الرد على المنطقيين[(٢/ ٩٢) ودرء التعارض (٣ / ١٢٦ – ١٢٧)].

وأيضا قرر ابن تيمية هذه الدلالة من وجه آخر، وهي : أن المخلوقات لا تستقل بفعلها بل لابد من مشارك ومعون على الفعل ، وهذا الاشترك نقص ، والكمال المطلق إنما هو

في الوحدانية وليس ذلك إلا لله تعالى ، فهو سبحانه الذي يستقل بالفعل وليس له شرك ومعاون ولهذا لا يستحق غيره أن يسمى خالقا ولا ربا مطلقا ونحو ذلك؛ لأن ذلك يقتضي الاستقلال والانفراد بالمفعول المصنوع وليس ذلك إلا لله وحده فكما أن الوحدانية واجبة له لازمة له: فالمشاركة واجبة للمخلوق لازمة له والوحدانية مستلزمة للكمال والكمال مستلزم لها والاشتراك مستلزم للنقصان والنقصان مستلزم له. وكذلك الوحدانية مستلزمة للغنى عن الغير: والقيام بنفسه ووجوبه بنفسه وهذه الأمور – من الغنى والوجوب بالنفس والقيام بالنفس – مستلزمة للوحدانية؛ والمشاركة مستلزمة للفقر إلى الغير والإمكان بالنفس وعدم القيام بالنفس. وكذلك الفقر والإمكان وعدم القيام بالنفس مستلزم للاشتراك وهذه وأمثالها من دلائل توحيد الربوبية وأعلامها وهي من دلائل إمكان المخلوقات المشهودات وفقرها وأنها من بدئه فهي من أدلة إثبات الصانع؛ لأن ما فيها من الافتراق والتعداد والاشتراك: يوجب افتقارها وإمكانها والممكن المفتقر لا بد له من واجب غني بنفسه وإلا لم يوجد. انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ٣٤ – ٣٦) (٦ / ١٢٥) (٢٠ / ١٨١ – ١٨٣) .

٣ – الأدلة الشرعية على وجود الله :

فمن يتأمل في الأدلة الشرعية يجد أنها قررت وجود الله بأساليب متعددة ، منها :

– الإخبار عن صفاته وأفعاله سبحانه وتعالى ، كما قالَ الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤].

– النهي عن تغيير الفطرة وتبديلها بإنكار وجود الرب ووحدانيته كما قال تعالى : {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} أي :

لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها – فيكون خبرا بمعنى الطلب .

– دلالة الخلق والعناية وهي أدلة شرعية عقلية

– ما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون ، فإن فرعون كان منكرا للرب ، فحاجه موسى في ذلك قال تعالى : (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) وكذلك ما جرى بين إبراهيم عليه السلام وبين النمرود ، فإن النمرود كان منكرا للخالق ، فحاجه إبراهيم في ذلك قال تعالى قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الْبَقَرَةِ: ٢٥٨]

– أن الرسل ابتدأوا دعوتهم لأقوامهم بتوحيد الألوهية والعبادة ولم يدعوهم إلى توحيد الربوبية مما يبين أن إقرارهم بوجود الله وربوبيته مستقر في نفوسهم ، ولو لم يكن كذلك لقالوا لرسلهم : نحن لا نعرفه أصلاً فكيف يأمرنا . انظر : [درء التعارض (٣ / ١٢٩ – ١٣٠) ، مجموع الفتاوى (١٦ / ٣٣٨)].

٤ – الأدلة الحسية على وجود الله :

فإن لكل موجود له آثار تدل على وجوده ، ووجود الله له آثار محسوسة ، منها :

١ – آيات الأنبياء [دلالة المعجزة] :

وهذا الدليل قائم على **مقدمتين ونتيجة** :

المقدمة الأولى : حدوث هذه الآيات المعجزة للبشر على خلاف معهودهم وما يدركونه من أسباب .

المقدمة الثانية : أن حدوثها على تلك الصفة يدل على أن لها مسببا موجدا أوجدها على غير تلك الهيئة المعهودة .

النتيجة : لابد وأن يكون الله جل جلاله هو الذي أوجد هذه الآيات على جهة تخالف ما سنّه كونا .

وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ودلالتها ضرورية بنفسها ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بينات وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها فإن انقلاب عصا تقلها اليد ثعبانا عظيما يبتلع ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت واليد وفلق البحر طرقا والماء قائم بينهما كالحيطان ونتق الجبل من موضعه ورفعه على قدر العسكر العظيم فوق رؤوسهم وضرب حجر مربع بعصا فتسيل منه اثنتا عشرة عينا تكفي أمة عظيمة وكذلك سائر آيات الأنبياء فإخراج ناقة عظيمة من صخرة تمخضت بها ثم انصدعت عنها والناس حولها ينظرون وكذلك تصوير طائر من طين ثم ينفخ فيه النبي فينقلب طائرا ذا لحم ودم وريش وأجنحة يطير بمشهد من الناس وكذلك إيماء الرسول إلى القمر فينشق نصفين بحيث يراه الحاضر والغائب فيخبر به كما رآه الحاضرون وأمثال ذلك من من أعظم الأدلة على وجود الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر وهذه من طرق القرآن التي

أرشد إليها عباده ودلهم بها..." انظر : الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ١١٩٧-١١٩٨).

فهذه الدلالة من أظهر الدلائل على وجود الله وربوبيته وألوهيته، وذلك أن الكون يسير وفق سنن إلهية تتكرر للإنسان حتى اعتادها وأصبحت من الأمور التي لا يجادل فيها كطلوع الشمس من المشرق ، وتعاقب الليل والنهار ، وتكون الماء من السحاب ونزوله فيحيي الله به الأرض ، فإذا وردت المعجزة على غير العادة السالمة من المعارض دلت على أن ذلك الأمر حدث من خالق عظيم قوي فعال لما يريد .

قال الشيخ حافظ حكمي : " وهي إما حسية تشاهد بالبصر أو تسمع كخروج الناقة من الصخرة، وانقلاب العصا حية، وكلام الجمادات، ونحو ذلك، وإما معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن، وقد أوتي نبينا صلى الله عليه وسلم من (كل ذلك) ، فما من معجزة كانت لنبي إلا وله صلى الله عليه وسلم أعظم منها في بابها، فمن المحسوسات: انشقاق القمر، وحنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وكلام الذراع، وتسبيح الطعام، وغير ذلك..." وكذلك المعجزة تدل على وجود الله وربوبيته من وجه آخر وهو: أن النبوة والرسالة إذا تقررت ، لابد حينئذ من الإقرار بالمرسل ، لأنه لا نبي ولا رسول إلا وهناك مرسل .

وتأمل ما جرى بين موسى وفرعون ، فإن فرعون كان منكرا للرب ، فحاجه موسى في ذلك ، ثم عرض عليه الحجة العظيمة التي تدل على صدقه وأنه رسول رب العالمين ، وأن له إلها ، فاستدل بالمعجزة على وجود الله وربوبيته وكونه مرسلاً من رب العالمين .

قال تعالى : (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ

تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ)

فقد أقام عليه الحجة أولا بالآيات التي يستلزم العلم بها العلم بالخالق ، فلما عاند وكابر رده إلى دلالة المعجزة التي هي أبلغ في الدلالة على المقصود ليثبت بها الوحدانية والرسالة

وقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} فبين تعالى أن المعجزة تدل على الرسالة والوحدانية ، فإذا أثبتت المعجزة أحدها فقد أثبتت الآخر " انظر : أعلام السنة المنشورة .

وقد ذكر شيخ الإسلام أن المعجزات يُعلم بها ثبوت الصانع ووحدانيته وصدق الرسول معا . انظر : [مجموع الفتاوى [١١ / ٣٧٨ – ٣٧٩) ، درء التعارض (٧ / ٣٠٧ – ٣٠٨) (٨ / ٣٥٢) (٩ / ٤٠ – ٤١) ، (٨ / ٣٥٢ – ٣٥٤) (٩ / ٤١ – ٤٤)]

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " إن آيات الأنبياء التي تسمى " المعجزات " ويشاهدها الناس أو يسمعون بها : برهان قاطع على وجود مرسلهم ، وهو الله تعالى لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر "

٢ – نعم الله جل جلاله على عباده :

هذه النعم الكثيرة كنزول المطر وإحياء النبات وإجابة الداعين وإغاثة المكروبين ورفع الهموم وإزالة الغموم دليل على وجود الله تعالى ، يقول تعالى :{وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}وقال تعالى{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ

وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} . [الأنبياء: ٨٣، ٨٤] . وقال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} وعن أنس قال: " «أصاب الناس سنة على عهد رسول – صلى الله عليه وسلم – فبينما النبي – صلى الله عليه وسلم – يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي، فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع لنا. فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فو الذي نفسي بيده، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد، وبعد الغد حتى الجمعة الأخرى. وقام ذلك الأعرابي أو غيره، فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا. فرفع يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا. فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة في مثل الجوبة، وسال وادي قناة شهرا، ولم يجئ أحد من ناحيته إلا حدث بالجود» ". رواه البخاري ومسلم.

٣ – الثواب المعجل لأوليائه ، والعقاب المعجّل لأعدائه:

فإن الله سبحانه وتعالى قص علينا في القرآن من أخبار الأمم السابقة وسبب هلاكها ، وذكرنا بأيامه في الأمم الطاغية ، وما حل بهم من العقاب ثمرة كفرهم وتكذيبهم ؛ وأخبرنا الله بإكرامه لأوليائه ، وتعجيل ثوابه لهم في الدنيا قبل الآخرة ، وقد شاهدها الناس بأبصارهم، ومن لم يشاهدها فقد تناقلتها الأمم والقرون ، وتواترت أخبارها ، ولهذا يجعل الله هذا النوع من الآيات العقلية الحسية، قال تعالى :{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}، وقال تعالى:{لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}وقَالَ تَعَالَى: {وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ، وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ} [إِبْرَاهِيمَ: ٤٥] وَقَالَ

تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قديرا } وَقَالَ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ قَصَّ عَلَيْنَا مَا قَصَّ فِي سُورَةِ هُودٍ: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ، وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ، وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} انظر : [البراهين العقلية للإمام السعدي ص ٢٩ – ٣١ ، ٤٧]

٤ – كلام الله الله لبعض رسله كمحمد وموسى عليهم الصلاة والسلام .

٥ – دليل الإجماع :

فإن الأمة الإسلامية أجمعت على وجود الله وربوبيته بل حتى عامة المشركين ولم يخالف في ذلك إلا بعض الشواذ الذين لا يعتد بخلافهم وكلامهم .

يقول شيخ الإسلام :"أهل الفطر كلهم متفقون على الإقرار "

وقال أيضاً: " والمقصود هنا أن من المعروف عند السلف والخلف أن جميع الجن والإنس معترفون بالخالق مقرون به،... فعلم أن أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن وأنه من لوازم خلقه، ضروري فيهم، وإن قدر أنه حصل بسبب كما أن اغتذاءهم الطعام والشراب هو من لوازم خلقهم، وذلك ضروري فيهم ".

وقال أيضاً : " وأما الرب فهو معروف في الفطرة [قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ] فالمشركون من عباد الأصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به أنه ربهم وخالقهم ورازقهم، وأنه رب السماوات والأرض والشمس والقمر، وأنه المقصود الأعظم "

المسألة الثانية

تعريف توحيد المعرفة والإثبات، وأنواعه

توحيد المعرفة والإثبات هو : إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله ، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم. انظر : [شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١ / ٨٩) ، مدارج السالكين (٣ / ٤١٧)].

وأنواع توحيد المعرفة والإثبات نوعان، هما :

الأول : توحيد الربوبية .

والثاني : توحيد الأسماء والصفات

وسبب تسميتهما بالمعرفة والإثبات هو : أن المطلوب من المؤمن تجاهما : معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله وإثباتها له . بخلاف توحيد الألوهية فإن المطلوب من المؤمن تجاهه : العمل وهو عبادة الله وحده دون ما سواه ولذلك يسمى التوحيد العملي الطلبي انظر : [مدارج السالكين (٣ / ٤١٧)].

المسألة الثالثة

تعريف توحيد الربوبية، وأدلته، ومنهج القرآن في بيانه

توحيد الربوبية هو : إفراد الله بأفعاله كالخلق والملك والتدبير وغيرها .

أدلة ربوبية الله :

مر معنا سابقا الحديث عن أدلة وجود الله ، وهي صالحة لأن تكون دليلاً على ربوبية الله وألوهيته سبحانه وتعالى ، ولذا سأذكرها باختصار .

١ – دليل الفطرة – وهو ما يعرف بدلالة الضرورة – **[وهو : ما جبل وخلق عليه الإنسان من إثبات وجود الله وربوبيته وألوهيته]**

وهذا الدليل قائم على **مقدمتين ونتيجة** :

المقدمة الأولى : **أن** الاعتراف بوجود إله خالق متصف بالكمال المطلق من العلم الضروري الذي لا يمكن دفعه

المقدمة الثانية : كل علم ضروري لا بد من وجوده خارج الذهن

النتيجة : أن المعرفة الفطرية الضرورية بوجود إله متصف بالكمال المطلق دالة على وجود الله خارج الذهن .

وقد دلت النصوص الشرعية على أن الله تعالى خلق عباده على الفطرة وهي الإسلام .

كما قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم: ٣٠]. وقوله :{فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم: ٣٠]. وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" وفي رواية ابن نمير : " ما من مولود يولد إلا وهو على الملة "

وفي الحديث القدسي: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم"

٢ – الأدلة العقلية على وجود الله :

وقد تنوعت المسالك العقلية على ربوبية الله ، ومن هذه المسالك العقلية على وجود الله:

١ – دلالة الخلق أو الحدوث أو الاختراع والإنشاء : [وهي : الاستدلال بوجود المخلوق على وجود الخالق وربوبيته وألوهيته]

وهذا الدليل قائم على **مقدمتين ونتيجة :**

المقدمة الأولى : حدوث المحدثات أي : هذه الموجودات مخلوقة موجودة بعد عدم

المقدمة الثانية : كل مخلوق لا بد له من خالق ، وكل محدَث لابد له من محدِث.
النتيجة : أن هذه الموجودات التي وجدت بعد عدم تدل على وجود خالق لها متصف بالكمال المطلق . انظر : [الرد على المنطقيين (٢ / ١٠) ، شرح حديث النزول ص (١٢٣ – ١٢٦) ، ودرء التعارض (٣ / ٩٨ – ٩٩ ، ١١٣ ، ٢٦٥) (٧ / ٢١٩ – ٢٢٠ ، ٢٤١) (٨ / ٣٠٥ – ٣٠٧ ، ٣٣٠) ومجموع الفتاوى (١٣ / ١٥٠ – ١٥١) (١٦ / ٤٤٤ – ٤٤٥) الصفدية (٢ / ٩٩)].

وهذه الدلالة من الدلائل الضرورية التي أرشد إليها الشرع والحس ، **قال تعالى** : {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}فأمر المخلوقات لا يخلو من ثلاثة أمور :

٢ – دلالة العناية والإتقان والحكمة [وهي : الاستدلال بآثار الكمال في الخلق من الإحكام والإتقان والاعتناء على وجود الله وربوبيته وألوهيته].

وهذا الدليل قائم على **مقدمتين ونتيجة :**

المقدمة الأولى : هذه المخلوقات موافقة لوجود الإنسان ومهيأة له من حيث المنافع والحكم والمقاصد .

المقدمة الثانية : هذا الإحكام والإتقان وهذه الموافقة لابد لها من فاعل خالق مريد ، فإن الإتقان والإحكام لا يصدر من عدم فلابد له من حكيم خبير.

النتيجة : أن إتقان هذه المخلوقات ، وإحكام وجودها، وموافقة حكمها ومنافعها ومقاصدها لوجود الإنسان يدل على وجود خالق وفاعل ومريد أحكمها وأتقنها. انظر : [بيان تلبيس الجهمية (١ / ٤٩٤ - ٥٠٠)،(٢ / ٢١) (٢ / ١٩ – ٢٠ ، ١٤١ - ١٤٢) ، بدائع الفوائد ص (٤ / ١٩٠ - ١٩١) ، ودرء التعارض (٧ / ٣٠٩ - ٣١٠) (٩ / ٣٢١ – ٣٢٦) مدارج السالكين (٣ / ٣٣٩) الغنية عن الكلام وأهله للخطابي ص (١٥ – ١٦) ومجموع الفتاوى (١٣ / ١٥٠ – ١٥١) (١٦ / ٤٤٤ – ٤٤٥) الصفدية (٢ / ٩٩)].

ودلالة العناية أرشد إليها القرآن والحس ، قال تعالى:{ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ } وقوله تعالى :{وفي أنفسكم أفلا تبصرون} وقال تعالى: {الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ}وَقَالَ تَعَالَى: {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}

٣ – دلالة الاضطرار : [وهي : الاستدلال بإجابة المضطر الملتجئ إلى الله على وجود الله وربوبيته وألوهيته].

فإن الملحد أو المشرك وقت الشدة والبلاء كثيراً ما تنكشف الحجب عن فطرته، فتزول عنها الغشاوة التي رانت عليها عند المصيبة ، فكم من ملحد عرف ربه ورجع إليه عند الشدائد ، وكم من مشرك أخلص دينه لله لضر نزل به ، فالإنسان مجبول على معرفة الله والإقرار به ، ولا يجد السبيل إلى دفع هذه الضرورة .

قال تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}وقوله :{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ} فإن العباد يجدون عند الشدائد والمصائب اضطراراً يدفعهم إلى الاعتراف بوجود الله ووحدانيته .

٤ – دلالة الافتقار [وهي : الاستدلال بافتقار المخلوقات وحاجتها إلى الله إلى الخالق على وجود الله وربوبيته وألوهيته].

وهذا الدليل قائم على **مقدمتين ونتيجة** :

المقدمة الأولى : أن حدوث المخلوقات دليل افتقارها إلى محدثها

المقدمة الثانية : أن حاجتها إلى محدثها بعد إحداثه لها دليل افتقارها

النتيجة : أن افتقار المخلوقات حال حدوثها وحال بقائها دليل على وجد خالقها ورازقها ومدبر شؤونها. انظر : [درء التعارض (٣/ ١٢٥ – ١٢٧) (٣ / ١٣٨ – ١٤٢) (٩ / ٣٤٢ – ٣٤٨) الرد على المنطقيين (٢ / ٩٢) ومجموع الفتاوى (١ / ٤٥ – ٤٧) (٢ / ٩ – ١٠) (٢ / ٣٤ – ٣٦) (٦ / ١٢٥) (٢٠ / ١٨١ – ١٨٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأما فقر المخلوقات إلى الله: بمعنى حاجتها كلها إليه، وأنه لا وجود لها ولا شيء من صفاتها وأفعالها إلا به. فهذا: أول درجات الافتقار، وهو افتقارها إلى ربوبيته لها، وخلقه وإتقانه، وبهذا الاعتبار كانت مملوكة له، وله سبحانه الملك والحمد. وهذا معلوم عند كل من آمن بالله ورسله الإيمان الواجب، فالحدوث دليل افتقار الأنبياء إلى محدثها، وكذلك حاجتها إلى محدثها بعد إحداثه لها دليل افتقارها فإن الحاجة إلى الرزق دليل افتقار المرزوق إلى الخالق الرازق. انظر : مجموع الفتاوى[(١/ ٤٥ – ٤٦)].

وقال أيضا :" وهي مفتقرة إليه حال حدوثها وحال بقائها لا يمكن استغناؤها عنه لا في هذه الحال ولا في هذه الحال " انظر : الرد على المنطقيين[(٢/ ٩٢) ودرء التعارض (٣ / ١٢٦ – ١٢٧)].

٣ – الأدلة الشرعية على وجود الله :

فمن يتأمل في الأدلة الشرعية يجد أنها قررت وجود الله بأساليب متعددة ، منها :

– الإخبار عن صفاته وأفعاله سبحانه وتعالى ، كما قالَ الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤].

– النهي عن تغيير الفطرة وتبديلها بإنكار وجود الرب ووحدانيته كما قال تعالى : {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} أي : لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها — فيكون خبرا بمعنى الطلب .

– دلالة الخلق والعناية وهي أدلة شرعية عقلية

– ما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون ، فإن فرعون كان منكرا للرب ، فحاجه موسى في ذلك قال تعالى : (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ

ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) وكذلك ما جرى بين إبراهيم عليه السلام وبين النمرود .

- أن الرسل ابتدأوا دعوتهم لأقوامهم بتوحيد الألوهية والعبادة ولم يدعوهم إلى توحيد الربوبية مما يبين أن إقرارهم بوجود الله وربوبيته مستقر في نفوسهم ، ولو لم يكن كذلك لقالوا لرسلهم : نحن لا نعرفه أصلاً فكيف يأمرنا . انظر : [درء التعارض (٣ / ١٢٩ – ١٣٠) ، مجموع الفتاوى (١٦ / ٣٣٨)].

٤ – الأدلة الحسية على وجود الله :

فإن لكل موجود له آثار تدل على وجوده ، ووجود الله له آثار محسوسة ، منها :

١ – آيات الأنبياء [دلالة المعجزة] :

وهذا الدليل قائم على **مقدمتين ونتيجة** :

المقدمة الأولى : حدوث هذه الآيات المعجزة للبشر على خلاف معهودهم وما يدركونه من أسباب .

المقدمة الثانية : أن حدوثها على تلك الصفة يدل على أن لها مسببا موجدا أوجدها على غير تلك الهيئة المعهودة .

النتيجة : لابد وأن يكون الله جل جلاله هو الذي أوجد هذه الآيات على جهة تخالف ما سنّه كونا .

فهذه الدلالة من أظهر الدلائل على وجود الله وربوبيته وألوهيته، وذلك أن الكون يسير وفق سنن إلهية تتكرر للإنسان حتى اعتادها وأصبحت من الأمور التي لا يجادل فيها كطلوع الشمس من المشرق ، وتعاقب الليل والنهار ، وتكون الماء من السحاب ونزوله

فيحيي الله به الأرض ، فإذا وردت المعجزة على غير العادة السالمة من المعارض دلت على أن ذلك الأمر حدث من خالق عظيم قوي فعال لما يريد .

٢ – نعم الله جل جلاله على عباده :

هذه النعم الكثيرة كنزول المطر وإحياء النبات وإجابة الداعين وإغاثة المكروبين ورفع الهموم وإزالة الغموم دليل على وجود الله تعالى ، يقول تعالى :{وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} وعن أنس قال: " «أصاب الناس سنة على عهد رسول – صلى الله عليه وسلم – فبينما النبي – صلى الله عليه وسلم – يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي، فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع لنا. فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فو الذي نفسي بيده، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد، وبعد الغد حتى الجمعة الأخرى. وقام ذلك الأعرابي أو غيره، فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا. فرفع يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا. فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة في مثل الجوبة، وسال وادي قناة شهرا، ولم يجئ أحد من ناحيته إلا حدث بالجود» ". رواه البخاري ومسلم.

٣ – الثواب المعجل لأوليائه ، والعقاب المعجّل لأعدائه:

فإن الله سبحانه وتعالى قص علينا في القرآن من أخبار الأمم السابقة وسبب هلاكها ، وذكرنا بأيامه في الأمم الطاغية ، وما حل بهم من العقاب ثمرة كفرهم وتكذيبهم ؛ وأخبرنا الله بإكرامه لأوليائه ، وتعجيل ثوابه لهم في الدنيا قبل الآخرة ، وقد شاهدها الناس بأبصارهم، ومن لم يشاهدها فقد تناقلتها الأمم والقرون ، وتواترت أخبارها ، ولهذا يجعل الله هذا النوع من الآيات العقلية الحسية، قال تعالى :{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ

فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}، وقال تعالى:{لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}وقَالَ تَعَالَى: {وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ، وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ} [إِبْرَاهِيمَ: ٤٥] وَقَالَ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قديرا }

٤ – كلام الله الله لبعض رسله كمحمد وموسى عليهم الصلاة والسلام .

٥ – دليل الإجماع :

فإن الأمة الإسلامية أجمعت على وجود الله وربوبيته بل حتى عامة المشركين ولم يخالف في ذلك إلا بعض الشواذ الذين لا يعتد بخلافهم وكلامهم .

يقول شيخ الإسلام :"أهل الفطر كلهم متفقون على الإقرار "

وقال أيضاً: " والمقصود هنا أن من المعروف عند السلف والخلف أن جميع الجن والإنس معترفون بالخالق مقرون به،... فعلم أن أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن وأنه من لوازم خلقه، ضروري فيهم، وإن قدر أنه حصل بسبب كما أن اغتذاءهم الطعام والشراب هو من لوازم خلقهم، وذلك ضروري فيهم ".

منهج القرآن في بيان توحيد الربوبية:

المسألة الرابعة

معنى الشرك في الربوبية، وأهم مظاهره

الشرك في الربوبية هو : صرف شيء من خصائص الربوبية كلها أو بعضها لغير الله عز وجل، أو تعطيله عز وجل عنها بالكلية.

أنواع الشرك في الربوبية : نوعان : انظر : منهاج السنة لابن تيمية [٣ / ٢٩٢]، مجموع الفتاوى [٦ / ٨٣].

١ – شرك التعطيل [وهو : تعطيل الله أو تعطيل الله عن أسمائه وصفاته وأفعاله أو تعطيل الكون عن خالق]

٢– شرك الأنداد أو شرك التمثيل [وهو : تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الربوبية كالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة وعلم الغيب والمشيئة النافذة والقدرة الشاملة وغيرها]

مظاهر الشرك في الربوبية :

من أمثلة شرك التعطيل :

– الإلحاد: وهو إنكار وجود الخالق، كشرك فرعون إذ قال: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ }، { ما علمت لكم من إله غيري } وكذلك الدهرية الطبيعية ، والسمنية .

– تعطيل الكون عن صانعه، كشرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدومًا أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها، يسمونها: العقول، والنفوس. وكالقول بوحدة الوجود فحقيقته

كقول فرعون الجاحد لرب العالمين لأن الخالق عندهم هو المخلوق وهو ما عليه ابن عربي، وابن سبعين، والعفيف التلمساني، وابن الفارض، ونحوهم من الملاحدة الذين كسوا الإلحاد حلية الإسلام، ومزجوه بشيء من الحق، حتى راج أمرهم على خفافيش البصائر.

– تعطيل الخالق عن أسمائه وصفاته ، كما هو حاصل من غلاة الجهمية، والقرامطة ، وكذلك تعطيله عن أفعاله كإنكار البعث والقدر . انظر : [منهاج السنة لابن تيمية (٣ / ٢٧٨ – ٢٨١ ، ٤٥٢)، (٧ / ٤١٠)، درء التعارض (٥ / ١٦٨) ،(٧ / ١٧٥) ،(٨ / ٤٩٠)، بيان تلبيس الجهمية (١ / ٤٣٨ – ٤٣٩)،(٦ / ٦١٦) (٧ / ٥٧٢ – ٥٧٣) ، الصفدية (٢ / ٢٣٠)، مجموع الفتاوى (٢ / ١٦٠) ، (١١ / ٤٥٥ – ٤٥٦)،(١٦ / ٣٣٢ – ٣٣٣) (٣٥ / ١٥٣)، شرح حديث النزول ص (٤٣٧)، جامع المسائل (٤ / ٤٢٣)، شرح الأصبهانية (ص ٥٠)، الداء والدواء (٢٣١ – ٢٣٢) ، مقالة التعطيل (ص ٢١ – ٢٢)].

من أمثلة شرك الانداد :

– شرك النصارى الذين اتخذوا معه أربابا، فجعلوه ثالث ثلاثة.

– وشرك المجوس القائلين بأن للعالم خالقين أحدهما خالق للخير، والآخر خالق للشر

– وشرك الصابئة الذين زعموا أن الكواكب هي المدبرة لأمر العالم.

– وشرك القدرية "مجوس هذه الأمة" القائلين بأن كل إنسان يخلق فعل نفسه

– وشرك عباد القبور الذين يزعم أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فتقضي الحاجات، وتفرج الكربات، وتنصر من دعاها، وتحفظ من لاذ بحماها.

– شرك الصوفية القائلين بالغوث والقطب وأنهم على كل شيء قدير وأنه بكل شيء عليم وانه يعطي الولاية من يشاء ويصرفها عمن يشاء

- شرك الروافض والنصيرية والدروز الذين يقولون أن أئمتهم يتصرفون في الكون كيفما شاءوا وأنهم يعلمون الغيب .

- شرك الكهان الذين يدّعون علم الغيب وينازعون الرب فيما اختص به، وكذلك شرك المنجمين الذين يعتقدون أن نجماً من النجوم السبعة هو المتولي لسعده ونحسه وهي المدبرة له . انظر : [اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٧١٠) ، منهاج السنة ١ / ٩٥ – ٩٦) (٨ / ١٢٩ ، ١٤٣)، بغية المرتاد ص (٣٩٣ – ٣٩٤) – الاستغاثة(٢ / ٥٣٦) ، مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٦١ – ١٦٢)].

المسألة الخامسة

صور الإلحاد، ودحض شبهات الملحدين، ودعاوى المنكرين لوجود الله

الإلحاد لغة : مصدر ألحد يُلحد إلحادًا والمراد به الميل والعدول عن الشيء . ومنه اللحد، وهو : الشق الذي يكون في عرض القبر موضع الميّت، لأنه قد أميل عن وسطه إلى جانبه. فالإلحاد في اللغة هو الميل مطلقًا.

الإلحاد شرعاً : الميل عن الحقّ إلى الباطل؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– : "الإلحاد يقتضي ميلًا عن شيء إلى شيء باطل" انظر : [مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٤)].

فتبيّن أن الإلحاد في نصوص الشرع ليس ميلًا من حيث الإطلاق، بل هو ميل مخصوص. كتكذيب الآيات الشرعية وتحريفها ، أو اعتقاد أن أحدًا سوى الله منفرد بخلق الكون أو بعضه أو مشاركاً أو معيناً لله في إيجادها وخلقها وتدبيرها. انظر :[القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣٢٠ – ٣٢١)].

الإلحاد اصطلاحاً [المصطلح المعاصر للإلحاد] : إنكار وجود الخالق أو الشك في وجوده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "الإلحاد المحض: نفي الصانع بالكلية، وأن هذا العالم الموجود ليس له صانع" انظر : [جامع المسائل (٤/ ٤٢٥)].

وقال الزجاج – رحمه الله– وهو من أئمة اللغة أن الإلحاد بمعنى: " الشكّ في الله" انظر : [تاج العروس (٩/ ١٣٥)].

صور الإلحاد :

ينقسم الإلحاد إلى قسمين:

القسم الأول : الإلحاد في العصر القديم : لم يذهب إلى إنكار وجود الله في العصر القديم إلا شرذمة قليلة من الناس ، من أشهرهم فرعون حينما قال كما قال – تعالى – عنه: {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى} [النازعات:٢٤]، وقال – سبحانه – عنه أيضاً: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: ٣٨].

وكذلك ذهب إلى إنكار وجود الله طوائف قليلة من الناس ،وهذه الطوائف هي :

١ – الدهرية: قال ابن القيم: (وهؤلاء قوم عطَّلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاه الله عنهم: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ} [الجاثية: ٢٤])[٩]. فجعلوا الدهر هو المتصرف فيهم بالإحياء والإماتة، وأنكروا وجود الله سبحانه وتعالى)

٢ – الطبائعيون: قال ابن الجوزي: (لَمَّا رأى إبليس قلَّة موافقيه على جحد الصانع؛ لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع، حسَّن لأقوام أن هذه المخلوقات من فِعْل الطبيعة) .

٣ – الفلاسفة: ذهب بعض الفلاسفة إلى أنه لا صانع للعالَم، وأطلق عليهم شيخ الإسلام دهرية الفلاسفة،. قال ابن القيم بعد حديثه عن فِرَق الفلاسفة: (وبالجملة فملاحدتهم: هم أهل التعطيل المحض؛ فإنهم عطلوا الشرائع، وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا الصانع عن صفات كماله).

٤ – السمنية

يقول ابن تيمية : " ولا ريب أن إنكار الصانع بالكلية قول «السمنية» الذين ناظرهم الجهم بن صفوان وغيرهم من الدهرية..."

القسم الثاني الإلحاد في العصر الحديث:

أبرز صور وتيارات الإلحاد المعاصر :

١-العلمانية: وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين

٢- الوجودية : مذهب يقوم على إبراز قيمة الوجود الفردي، وخصائصه وجعله سابقاً على الماهية، فهو ينظر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية، وأن الإنسان مطلق الحرية في الاختيار، يصنع نفسه بنفسه، ويملأ الوجود على النحو الذي يلائمه.

٣-الوضعية :وهي فلسفة تنكر أية معرفة تتجاوز التجربة الحسية.

٤-الشيوعية : مذهب اقتصادي اجتماعي، وضع له أساس اعتقادي فكري، قائم على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون، وأن المادة هي كل الوجود.

٥- الداروينية :نسبة إلى تشارلز داروين "١٨٠٨ - ١٨٨٢م" الباحث الإنجليزي، مؤلف كتاب أصل الأنواع. وهو مذهب التحول أو التبدل، ويتلخص في أن الكائنات الحية في تطور دائم على أساس من الانتخاب الطبيعي، وبقاء الأصلح، فتنشأ الأنواع بعضها من بعض، ولاسيما النوع الإنساني الذي انحدر عن أنواع حيوانية.

وهو ينفي يد الله من عملية الخلق كله، ويقرر أن الحياة وجدت على الأرض بالصدفة، في ظروف معينة. ومن مقولات داروين:"إن الطبيعة تخلق كل شيء، ولا حد لقدرتها على الخلق"، كما قال: "إن الطبيعة تخبط خبط عشواء"

شبهات الملاحدة ودعاوى المنكرين والرد عليه :

الشبهة الأولى : من خلق الله؟

وصيغتها : "إذا كان الله خلق كل شيء، فمن خلق الله؟"

وقد بيّن النبي ﷺ عن هذه الشبهة وأنها من وساوس الشيطان، فقال: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربّك؟ ..."

ثم أرشد عليه الصلاة والسلام إلى **خمسة أمور** لمن قذف الشيطان في قلبه هذه الشبهة ، وفيها الغنية والكفاية ، وهي :

١ – الاستعاذة بالله.

٢ – قول: آمنت بالله ورسله.

٣ – قول: الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

٤ – التفل عن اليسار.

٥ – الانتهاء من الاسترسال مع هذه الوساوس. انظر : [ذكرها الشيخ الألباني في السلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٣٦) ، ولشيخ الإسلام ابن تيمية تعليق نفيس على هذه الإرشادات النبوية في درء التعارض (٣ / ٣١٩ – ٣٢٢)].

وقد جاءت هذه الإرشادات في ثلاثة أحاديث :

الحديث الأول: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه **فليستعذ بالله ولينته**"

الحديث الثاني: "لن يدع الشيطان أن يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماوات والأرض؟ فيقول: الله، فيقول: فمن خلقك؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا أحسّ أحدكم بذلك **فليقل: آمنت بالله وبرسله**"

الحديث الثالث: "يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك **فقولوا: الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، ثمّ ليتفل عن يساره ثلاثًا**"

الرد عليهم:

١ – هذا السؤال باطل من أساسه؛ لأنه مبني سوء فهم لقضية الإيمان بوجود الله ، فإن القائلين بوجود الخالق يؤمنون بإله أزلي غير مخلوق، فكيف يوجّه إليهم السؤال: من خلق الله؟ فالملحد يتخيّل إلهًا مخلوقًا في ذهنه أوّلًا، ثمّ يسأل السؤال ثانيًا ؟ فهذا يدل على أن سؤالهم باطل وما بني على باطل فهو باطل .

٢ – هذا السؤال فيه تناقض، وذلك أن الملحد يقول من خلق هذا الخالق الأزلي؟ فنقول له هذا الخالق الأزلي لو افترض أنّ له خالقًا، فإنّه ليس بخالق أزلي غير مخلوق. كما لو قيل لك : من هي زوجة الأعزب؟ سيكون الجواب ؟ هذا سؤال متناقض وباطل؛ لأنّه لو كان للأعزب زوجة، فإنه يخرج من كونه أعزبًا إلى كونه متزوّجًا. فالسؤال باطل ومتناقض . وكما لو قيل لك من جعل المثلّثات دائرية؟ فالجواب : هذا السؤال باطل ومتناقض ، لأنّ المثلّثات لا يمكن أن تكون دائرية، لأنه لو كانت دائرية، فهي تخرج من كونها مثلّثة.

٣ – هذا السؤال باطل لأنه يلزم منه الدور الممتنع وهو تسلسل المؤثرات والمحدثات إلى ما لا نهاية، وهذا لا يمكن؛ لأن الكون واقع والخلق حصل فلابد أن ينتهي التسلسل الرجعي إلى واجب الوجود: وهو الله

وسأشرح لكم القضية بسهولة وهي : لو أن رجلاً شرطياً أطلق رصاصة ، فقلنا له : من صنع الرصاصة، سيقول: محمد، سنقول له : من صنع محمد، سيقول: فلان، سنقول له : من صنع فلان ، سيقول فلان ، سنقول له : من صنع فلان ، سيقول فلان وهكذا نستمر إلى ما لا نهاية ، فهل هذا يعقل ؟ لا، لأنه يلزم منه الدور الممتنع وتسلسل الفاعلين .

والإشكال في هذا التسلسل : أنه مناقض للواقع، فكل الأشياء الموجودة حصلت كطلق الرصاصة مثلاً فلابد أن لها موجدًا أحدثها وهو الشرطي وهذا المحدث [الشرطي] لابد له محدث واجب الوجود فينتهي التسلسل إلى واجب الوجود . لأننا لو لم ينته التسلسل إلى واجب الوجود لما حصل شيء على أرض الواقع مع أن الأشياء وقعت وموجودة.

وقد ذكر شيخ الإسلام أنّ هذا النوع من التسلسل ممنوع بإجماع العقلاء؛ فقال –رحمه الله– : "يمتنع تسلسل المحدثات بأن يكون للمحدث محدث، وللمحدث محدث إلى غير غاية، وهذا يسمى تسلسل المؤثرات والعلل والفاعلية، وهو ممتنع باتفاق العقلاء" انظر : [مجموع الفتاوى: (١٦/ ٤٤٤ – ٤٤٥)].

٤ – نقول– للملاحدة هذه الشبهة مبنية على أحد أمرين :

أ – إما أنها مبنية على أنّكم لا تسلمون بوجود شيء أزلي.

ب – أو أنه لا يوجد أيّ شيء أزلي، وأنّ الكون ظهر من لا شيء

وكلاهما باطل؛ فأما الأول فإن كثيرًا منكم يؤمنون بشيء أزلي، فكنتم في السابق تعتقدون أنّ الكون أزلي أو أن الطاقة والمادة أزلية وإن لم يكن الكون بأكمله كذلك. فإذن إن كان ثمة إشكال في الأزلية فكما تثبتون أزلية الطاقة فما الغرابة والإشكال عندما نقول بأزلية الخالق وأنه هو الذي خلق .

٢ – وإن كان المراد الأمر الثاني فهو أشد بطلاناً؛ لأن اللاشيء يظهر لا شيء، فكيف أخرج لا شيء هذا الكون من لا شيء. هذا تناقض واضح ومخالف لبديهيات العقل .

الشبهة الثانية : عدم إمكانية رؤية الله؟

وصيغتها : "كيف نؤمن بوجود الله مع أننا لا نراه؟"

الرد عليهم :

١ – هناك أشياء كثيرة نؤمن بها ولا نراها. هناك جسيمات دون الذرّة التي لا يمكن رؤيتها، ولكن نؤمن بوجودها. هناك حقائق أخرى في الطبيعة لا يمكن رؤيتها: مثل الجاذبية، ولكنّنا نرى آثارها ... فيمكن أن نعلم أن بعض الأشياء موجودة وإن لم نرها فالمقصود أن العلم يكون بالرؤية، ويكون بالخبر اليقين، ويكون بالملامسة، ويكون بالشم، ويكون بالنظر، ويكون بالسماع، **فطرق العلم كثيرة**، ما هو فقط بمجرد اللمس أو الرؤية .

٢ – هذه الشبهة مبنية على قضية تلازم الإيمان بالرؤية وهذا غير صحيح؛ فلا تلازم بين الرؤية والإيمان ، لأنك قد ترى الشيء ولا تؤمن به ، وتؤمن بالشيء ولم تره ، فالمشركون يرون بأعينهم أنّ القمر ينشق نصفين، ومع ذلك أعرضوا وقالوا: إنه سحر مستمرّ، وكذّبوا واتّبعوا أهواءهم. فالرؤية غير الإيمان. فالمؤمن يؤمن بالله مع أنه لا يراه في الدنيا. والمشركون كذّبوا بالمعجزات مع أنها وقعت أمام أعينهم. وهكذا قد تؤمن بالشيء وأنت لم تره كما لو قيل لك في الدنيا بلادًا يُقال لها: أمريكا، وأنت ما زرتها، تعلمها يقينًا بالأخبار والإذاعات وغير ذلك .

٣ – من قال لكم أن الله لا يمكن رؤيته ، فنحن المسلمون نعتقد أن رؤية الله ممكنة في الدنيا، ولكن لا نراه لعجز أبصارنا عن ذلك؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "وإنما لم نَرَهُ في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤيا ... فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قِوى الآدميين حتى أطاقهم رؤيته". انظر : منهاج السنة (٢/ ٣٣٢ – ٣٣٣).

فرؤية الله في الدنيا ممكنة، ولكنّ أبصارنا لا تطيق ذلك، وأما في الآخرة فإنّ رؤية الله أعظم النعيم؛ قال النبي ﷺ: "إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، قالَ: يقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: تُرِيدُونَ شيئًا أزِيدكُم؟ فيَقولون: ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ؛ قالَ: فَيَكشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهِم من النَّظَرِ إلى رَبِّهِم عزَّ وجلَّ"

وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- : "... فإن الرؤية في الدنيا ممكنة، إذ لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام " انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٤٣٤).

الشبهة الثالثة : الانفجار العظيم؟

وصيغتها : " أنّ هذا الكون الذي نحن فيه ابتدأ من مفردة [أي: نقطة] شديدة الحرارة وذات كثافة لانهائية، تمدّد الكوت وتوسّع بعد ذلك عبر ١٣،٨ مليار سنة تقريبًا. فتكوّنت الذرّات الأولى ٣٠٠،٠٠٠ سنة بعد الانفجار ثم تشكّلت المجرّات والنجوم مئات الملايين من السنين بعد الانفجار ثم ظهر النظام الشمسي بما فيه كوكب الأرض بعد تسعة مليار سنة من الانفجار ثم وُجدت الحياة الأولى على كوكب الأرض بعد عشرة مليار سنة من الانفجار.

الرد عليهم :

١ – أن نظرية الانفجار العظيم ليست برهانا على إنكار وجود الله، بل فيها رد على الملاحدة لأنّها تثبت وجود بداية مطلقة للكون، وهذا يستلزم وجود الخالق. ولهذا اعترف الملحد ستيفن هوكينغ بأنّ البداية المطلقة للكون يستلزم بوجود خالق بقوله: "إذا كانت للكون بداية، فعلينا أن نفترض أنّ للكون خالقًا"

٢ – هذه المفردة كثيفة الحرارة من أين جاءت ومن خلقها ؟ هذا ما لم يجيبوا عنه، ولن يجيبوا .

٣ – كيف يُنتِج انفجارٌ نظامًا بديعًا؟ وهل الانفجار يناسب النظام؟ ثم: كيف أنتجت نقطةٌ من مادةٍ جامدةٍ شمساً وقمراً سماء وأرضاً حياةً وعقلًا إلخ؟

الشبهة الرابعة : نظرية داروين

وصيغتها : أن أساس أن الأحياء لم يُخلق كلُّ واحد منها خلقًا مستقلًّا؛ بل كان لها أصل واحد هو الخلية البسيطة، ثم أخذت تتطور وترتقي من طورٍ إلى طورٍ حتى نشأ الإنسان وبقية الكائنات، والطبيعة في ذلك كانت تختار الأصلح للبقاء، وهذا ما عبَّر عنه بمصطلح: الانتخاب الطبيعي أو: بقاء الأصلح.

الرد عليهم :

١ – أنها نظرية قاصرة؛ فهي لم تفسر جميع ظواهر الحياة في هذا الكون، إذ هي – مثلا– لا تقدم تفسيرًا لأصل نشأة الحشرات، مع أنها تمثل (٨٠%) من مجموع الحيوانات؛ فهل تطورت تلك الحشرات أم بقيت على ما هي عليه، ولِم لم يجرِ عليها قانون التطور؟

٢ – كما أنها لم تقدم تفسيرًا للطيور؛ فهل ما يطير من الحيوانات قد تطور؟ وماذا كان أصل هذا التطور ؟ إلى أشياء أخرى ترجع إلى الأحياء قد أهملتها؛ فما قيمة نظرية لا تقوم بتفسير (٩٠%) من الظواهر التي من المفترض أن تتناولها؟!

٣ – عجز أرباب هذه النظرية وأنصارها عن بيان كيفية انتقال الحياة من جماد إلى كائنات حية؛ فإذا سألتهم: كيف وجدت الحياة فجأة من خلية جامدة إلى أنفس حية لها إحساس وعقل؟ يجيبك الملحد وتجيبك النظرية : بأن هذا التطور إنما حصل فجأةً! صدفةً!

ولا يخفى أن الصدفة ليست جوابًا علميًّا، بل هي جواب يصادم العلم كما سيتبين عن قريب إن شاء الله.

٤ – أنه عند التأمل فيما اعتمدت عليه النظرية نجد أنها تنطلق من وجود تشابه بين الأحياء، ولذا قرر داروين أن أصل الإنسان قردٌ بسبب هذا الأمر.

ومما تزعمه هذه النظرية: أن وجود الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان يدل على وجود تشابه بينهما، وهنا يُسأل أرباب هذه النظرية: لماذا لا يكون الإنسان متطورًا من فأر وليس من قرد؛ لأنهما يشتركان في كثير من الأمراض، كالسرطان مثلا؟!

ولا جواب عند هؤلاء.

٥ – لو كانت النظرية حقا لشاهدنا كثيراً من الحيوانات والإنسان تأتي إلى الوجود عن طريق التطور، لا عن طريق التناسل فقط. وإذا كان التطور يحتاج إلى زمن طويل فذلك لا يمنع من مشاهدة قرود تتحول إلى آدميين في صورة دفعات متوالية.

٦ – أن كثيرًا من علماء الطبيعة أنكروا هذه النظرية ، منهم فرخو قال: " إنّه يتبين لنا من الواقع أن بين الإنسان والقرد فرقاً بعيداً، فلا يمكننا أن نحكم بأنّ الإنسان سلالة قرد أو غيره من البهائم، ولا يحسن أن نتفوّه بذلك ".

ومنهم ميفرت قال بعد أن نظر في حقائق كثيرة من الأحياء: " إنّ مذهب (داروين) لا يمكن تأييده، وإنّه من آراء الصبيان "..

ومنهم هكسلي وهو من صديق (لداروين) قال: إنَّه بموجب ما لنا من البينات لم يثبت قط أن نوعاً من النبات أو الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعي أو الانتخاب الصناعي.

الشبهة الرابعة : قوانين الطبيعة

وصيغتها : أنّ الطبيعة محكومة بقوانين يمكن صياغتها رياضيًا بشكل دقيق. وحينئذ الطبيعة مستغنية بقوانينها، وأنها ليست بحاجة إلى خالق متصرّف في الكون وكلّ ما فيه

الرد عليهم :

١ – أن القانون لم يخلق شيئًا، وإنما هو وصف لما يحصل في الغالب أو تحت شروط معيّنة. وضرب مثالًا على ذلك بقانون نيوتن للجاذبية. عندما اكتشفه نيوتن، فإنّه لم يكتشف ما يخلق الجاذبية أو يخلق المادة التي تعمل فيها الجاذبية، بل نويتن نفسه اعترف بأنّه لم يفسّر وجود الجاذبية أصلًا. فغاية قانون الجاذبية أنه وصف للطبيعة.

٢ – القوانين بحاجة إلى مقنّن أوّلًا، ثمّ إلى من يخلق الطبيعة وفق هذه القوانين. وهذا كلّه يشير إلى وجود خالق متعالٍ على الطبيعة، لأنّ الطبيعة نفسها بلا علم ولا حكمة ولا إرادة؛ فلا يمكنها القيام بذلك.

٣ – الإقرار بوجود الانتظام في الكون وأن الطبيعة تسير وفق قوانين محدّدة لا يمنع الاعتقاد أنّ الخالق يتصرّف في خلقه كما يشاء. فكما أن فهم قوانين آلية عمل محرّك احتراق داخلي لا يمنع معه أن نصدّق بأن المهندس مصمّم المحرّك أو الميكانيكيين معه يمكنهم أو سيقومون بالتدخل وإزالة غطاء أسطوانة احتراق.

ومثال آخر : قانون نيوتن في الجاذبية يخبرني أنني عندما أترك تفاحة فستسقط نحو مركز الأرض، ولكن هذا القانون لا يمنع أحدًا من التدخّل والإمساك بالتفاحة أثناء هبوطها. بكلمة أخرى: القانون يتوقّع ما سيحدث بشرط ألا يحدث تغيّر في شروط إجراء التجربة. وبالتالي فمن وجهة نظر المؤمنين بالله تتوقّع قوانين الطبيعة ما سيحدث إن لم يتدخل الله، وأنه لا يوجد أي مخالفة بالطبع إن تدخل الخالق بخلقه . ولهذا نيوتن لما

اكتشف بعض القوانين الفيزيائية هل أدّى به ذلك إلى إنكار وجود الخالق كما فعل ستيفن هوكينغ؟ الجواب: لا، بل الأمر كان بالعكس.

[القسم الثالث: الأسماء والصفات والرد على المخالفين]

المسألة الأولى
تعريف توحيد الأسماء والصفات

توحيد المعرفة والإثبات هو : إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، نفيا وإثباتا؛ فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل . انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣ / ٣) ، التدمرية ص (٧) ، لوامع الأنوار للسفاريني (١ / ١٢٩) ، والمجموع الثمين لابن عثيمين (٢ / ١٢) .

المسألة الثانية

أنواع الأدلة على توحيد الأسماء والصفات

فإن أسماء الله وصفاته دلت عليها الآيات الشرعية، والأحاديث النبوية، والفطر المستقيمة ، والعقول الصريحة، وإجماع الأمة .

فأما أدلة الكتاب :

١- قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: ١٨٠] .

٢-وقال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [طه: ٨] ، {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: ٢٢- ٢٤] .

٣ – وقال تعالى : {ولله المثل الأعلى} أي : الوصف الأكمل .

وأما الأدلة من السنة :

١- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة» . وليست أسماءُ الله منحصرة في هذا العدد، بدليل ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – قال: «أسألُكَ بِكُلِّ اسمٍ هو لَكَ، سمَّيتَ به نفسك، أو أنزلتَهُ في كتابكَ، أو علَّمتهُ أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ... » الحديث. وكل اسم من أسماء الله فإنه يتضمن صفة من

صفاته؛ فالعليمُ يدل على العلم، والحكيم يدل على الحكمة، والسَّميعُ البصير يدلان على السمع والبصر، وهكذا كلُّ اسم يدل على صفة من صفات الله تعالى

٢- عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعثَ رجلًا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختمُ بـ ({قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: سلوه: لأي شيء يفعلُ ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفةُ الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -:» «أخبروه أن الله تعالى يحبه» . يعني أنها اشتملت على صفاتِ الرَّحمن.

وأما الأدلة العقلية على ثبوت الأسماء والصفات :

١ – أن كل موجود في الخارج فلا بد أن يكون له صفة: إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة. وبذلك استدل الله ـ تعالى - على بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بصفات النقص والعجز بكونها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر، ولا تخلق، ولا تنصر فإذا بطل الثاني تعين الأول، وهو ثبوت صفات الكمال لله.

٢ - ثم إنه قد ثبت بالحسِّ والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، والله سبحانه هو الذي أعطاه إياها فمعطي الكمال أولى به.

وأما دلالة الفطرة على ثبوت صفات الكمال لله:

١ - فلأن النفوس السليمة مجبولة ومفطورة على محبة الله، وتعظيمه، وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من عرفت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟!

وأما دلالة الإجماع :

فقد نقل الإجماع غير واحد من العلماء ،وإليك بعضا منهم:

قال الإمام أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-: "وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه، ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه، ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب، وترك التكييف له لازم"

وقال ابن عبد البر : "أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك وَلَا يَحُدُّونَ فِيهِ صِفَةً مَحْصُورَةً "

المسألة الثالثة

قواعد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات

أولًا : قواعد أهل السنة والجماعة في أسماء الله :

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى:

معنى القاعدة : أي: بالغة في الحسن غايته، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا. وليس هناك من الأسماء أحسنُ منها بوجه من الوجوه، بل لها الحسن التامُّ المطلق، لكونها دالةً على صفاتِ كمالٍ، فلو لم تكن دالةً على صفاتِ كمالٍ لم تكن حسنى وإلا فالأسماء المحضة التي لا معنى لها لا توصَفُ بحُسْنٍ؛ فضلا عن كونها أحسَنَ من غيرها. انظر : [مدارج السالكين (٨٢/١)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٣٥١)، القواعد المثلى ص ٦]

يقول ابن تيمية : " وأسماءُ اللهِ ليس فيها ما يَدُلُّ على نقصٍ ولا حدوثٍ، بل فيها الأحسنُ الذي يَدُلُّ على الكَمالِ، وهي التي يُدْعَى بها" انظر : [مجموع الفتاوى (١٤٣/٦)]

مثال القاعدة :

– "الحي" اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال ولا يعتريها نقص . الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

– "العليم" اسم من أسماء الله، متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان ولا يعتريه نقص ، قال الله تعالى: {عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى} ، العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا، سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه.

دليل القاعدة :

– قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}

- قال الله تعالى: {فله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}

انظر : [الرد على الجهمية (ص١٨)، مجموع الفتاوى (١٤٣/٦)، بيان تلبيس الجهمية (٢٩٨/٣)، شرح الأصبهانية (ص٤٥٢، ٣٤٧)، منهاج السنة النبوية (٣ / ١٤٣)،(٤٠٩/٥)، مدارج السالكين (٨٢/١) القواعد المثلى ص ٦]

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف :

معنى القاعدة : أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهى بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص.

يقول ابن تيمية : " فأسماؤُهُ كُلُّها متفِقَةٌ في الدلالةِ على نفسِهِ المقدَّسَةِ، ثم كلُّ اسمٍ يدُلُّ على معنى من صفَاتِهِ ليس هو المعنى الذي دلَّ عليه الاسمُ الآخرُ، فالعزيزُ يدُلُّ على نفسِهِ مع عزتِهِ، والخالقُ يدُلُّ على نفسهِ مع خلقه، والرحيمُ يدُلُّ على نفسِهِ مع رحمته، ونفسُه تستلزِمُ جميعَ صفَاتِهِ، فَصَارَ كلُّ اسمٍ يدُلُّ على ذاتِهِ والصفةِ المختصةِ به بطريق المطابَقَةِ، وعلى أحدهما بطريقِ التضَمُّن، وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم " انظر : [الإيمان (ص١٤٨) ، القواعد المثلى ص ٨]

مثال القاعدة :

- الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم" كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

دليل القاعدة :

- قوله تعالى: {وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} مع قوله تعالى : {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ} ، فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة.

– وقوله تعالى:{قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى} [الإسراء: ١١٠] فإن الإنسان سواءٌ دعا باسم الله، أو باسم الرحمن، فهو إنما يدعُوا الله، فإذا قلت الله: فهو الله، وإذا قلت: الرحمن فهو الرحمن، فلا يخالف كلُّ واحدٍ منهما الآخَر في دلالَتِهِ على مسمى واحد ،كما أنَّ اسم الله من حيث المعنى ليس هو كاسم الرحمن.

يقول الدارمي:" وسواء عليك قلت: يا الله، يا رحمن، أو يا رحيم، أو يا ملك يا عزيز يا جبار، بأيِّ اسمٍ دعوتَه من هذه الأسماءِ، أو أَضَفتَهُ إليه، فإنما تدعُو اللهَ نفسَهَ" انظر : [نقض عثمان على المريسي (ص١١-١٢)]

– إجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن علم، ولا سميع إلا لمن سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر.

انظر : [الإيمان (ص١٤٨) ، التدمرية (ص١٠٠-١٠١)، شرح حديث جبريل (ص٤٧١) التسعينية (٨٠٨/٣) ،قاعدة في المحبة (ص٧٩)القاعدة المراكشية (ص٣٩) القواعد المثلى ص ٨]

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى تدل على وصف لازم، ووصف متعد:

معنى القاعدة :

أسماء الله إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

مثال ذلك: "السميع" يتضمن إثبات السميع اسما لله تعالى،وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم

ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} .

وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

مثال ذلك: "الحي" يتضمن إثبات الحي اسما لله عز وجل وإثبات الحياة صفة له. انظر :[القواعد المثلى ص ١٠].

انظر : [الحجة في بيان المحجة (٣٢٨/١)، درء تعارض العقل والنقل (٣/٢-٤)، مجموع الفتاوى (٢٣٣/٦) (١٩/٨- ٢٠)،القواعد المثلى ص ١٠]

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.

معنى القاعدة :

دلالةُ المطابقة هي: دلالةُ اللفظِ على كامِلِ معناه، وسُمِّيت مطابقةً للتطابُقِ الحاصلِ بين معنى اللفظ وبين الفهم الذي استُفيد منه.

وأما دلالةُ التضمن فهي: دلالةُ اللفظِ على بعضِ معناه، وسميت تضمنا؛ لأنَّ اللفظَ قد تضَمَّن معنى آخر إضافةً إلى المعنى الذي فُهِمَ منه.

وأما دلالةِ الالتزام وهي: دلالةُ اللفظِ على أمرٍ خارجٍ معناه، وسميت دلالةَ التزامٍ؛ لأنَّ المعنى المستفاد منه لم يدلّ عليه اللفظُ مباشرةً، ولكن معناه يلزَمُ منه هذا المعنى.

مثال القاعدة:

- "الخالق" يدلُّ على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدلُّ على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمُّن، ويدلُّ على صفتي العلم والقدرة بالالتزام

دليل القاعدة :

- لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً}

انظر : [درء تعارض العقل والنقل (١٠/١٢) ومجموع الفتاوى (١٠/٢٥٤) القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين (ص١١) ، وآداب البحث والمناظرة للشنقيطي (ص٢٠)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله للشيخ محمد التميمي (ص٣٣٧)]

القاعدة الخامسة: أن أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها:

معنى القاعدة : يجب الوقوف في أسماء الله وصفاته على ما جاء به الكتاب والسنة لا فرقَ في ذلك بين المتواتر والآحاد،، فلا يزاد فيها ولا ينقص.

فما ورد إثباته لله تعالى من أسماء وصفات في الكتاب والسنة وجب إثباته، وما ورد نفيه عن الله من أسماء وصفات في الكتاب والسنة وجب نفيه، فلا يثبت لله إلا ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسولُه ﷺولا يُنفى عنه إلا ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسولُه ﷺ.

يقول شيخ الإسلام :"ثُمَّ الْقَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا الْبَابِ:" أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ، لا يتَجَاوَزُ الْقُرْآن وَالْحَدِيث" انظر: [الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٦٥)]

مثال القاعدة :

– **مما ورد إثباتُه لله:** السمْع والبصر [السميع البصير]، ومستند إثباتِهما: الكتابُ والسنةُ، فإن الله سبحانه أثبَتَ لنفسه السمع والبصر، فقال تعالى: **{ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى: ١١]**.

– **مما ورد نفيه عن الله** : تسمية الله بالأب [أو صفة الأبوة] كما هو عند النصارى، فإن الله سبحانه نفى عن نفسه الولد، فقال تعالى : { لم يلد ولم يولد}.

دليل القاعدة :

١– تسمية الله ووصفه بما لم يصف به نفسه أو بما لم يصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من القول على الله بلا علم، وهو محرم كما قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}

٢– أن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء والصفات ، فوجب الوقوف في ذلك على النص.

٣– أن تسميته تعالى ووصفه بما لم يُسَمِّ ويصف به نفسه أو إنكار ما سمى ووصف به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص.

انظر: [الرد على الجهمية للدرامي (ص١٨)، الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٦٥) ، مجموع الفتاوى (٥٧٥/١٢)، (١٣ / ١٦١)، شرح حديث النزول ص ٧٢) ،بيان تلبيس الجهمية (١٣٧/٢) وانظر (٣٨٩/٤)، التدمرية (ص٧) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٧٥/١) ، القواعد المثلى ص ١٣]

القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين:

معنى القاعدة : أن أسماء الله لا تدخل تحت الحصر بعدد معين؛ لأنَّ لله أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده، لم يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن أحدٌ حَصرَه ولا الإحاطةَ به؛ إذ إنَّ عقلَ الإنسانِ قاصرٌ لا يمكِنُه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء.

يقول شيخ الإسلام : " ولله أسماءٌ سمَّى بها نفسَهُ، واستَأثَرَ بها في علمِ الغيب عندَهُ" انظر : [مجموع الفتاوى (٤٣١/١٦)]. ويقول أيضاً : " فإنَّ الذي عليه جماهيرُ المسلمين أنَّ أسماءَ الله أكثرُ من تسعةٍ وتسعين..." انظر : [مجموع الفتاوى (٣٨١/١٦)]

مثال القاعدة :

- لا يصح القول أن أسماء الله وصفاته ٩٩ فقط .
- لا يصح القول أن أسماء الله وصفاته ١٠٠٠ فقط .
- لا يصح القول بأن أسماء الله وصفاته ٤٠٠٠ فقط .

دليل القاعدة :

- قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور:" أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك "**ووجه الدلالة:** أن من أسماء الله ما استأثر الله به، وهذا دليلٌ على أن أسماء الله أكثرُ من تسعة وتسعين اسما؛ لأن ما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحدًا حصره ولا الإحاطة به.

- قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده:" اللهم إني أعُوذُ بِرِضاكَ مِن سَخَطِكَ، وبمعافاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ، وبك منك، لا أُحصِي ثناءً عليكَ، أَنتَ كَمَا أَثنَيْتَ على نفسك " فأخبر أنه لا يحصي

ثناء عليه، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها، فكان يحصي الثناء عليه؛ لأن صفاته إنما يُعبَّر عنها بأسمائه .

فأما قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة" فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك.

إذًا فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة. وعلى هذا فيكون قوله: "من أحصاها دخل الجنة" جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة. ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة. ويدل لصحة هذا المعنى الأدلة السابقة.

انظر : [درء تعارض العقل والنقل (٣/٣٣٢-٣٣٣) ، مجموع الفتاوى (٦/٣٨١)،(٢٢/٤٨١-٤٨٢) شفاء العليل (٢/٧٥٨) ، القواعد المثلى ص ١٣ - ١٤].

القاعدة السابعة : وجوب إجراء الأسماء المزدوجة مجرى الاسم الواحد:

معنى القاعدة :

الأسماء المزدوجة هي: الأسماء التي لا تُطلق على الله بمفردها، وإنما مقرونة بمقابلها.

فيجب إجراء الأسماء المزدوجة مجرى الاسم الواحد، ولا يجوز فصل الاسم عن قرينه؛ لأن كمالها في اقتران كل اسم بالآخر، ليكون ذلك أنبأ عن عموم القدرة، وأدل على عموم الحكمة، ولذلك لم تجيء مفردة في النصوص، ولم تُطلق على الله إلا مقترنة.

يقول ابن تيمية:" ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة، كالمعطي المانع، والضار النافع، المعز المذل، الخافض الرافع، فلا يُفرد الاسم المانع عن قرينه، ولا الضار عن قرينه؛ لأن اقترانهما يدل على العموم"
انظر : [مجموع الفتاوى (٨/٩٤-٩٥)]

مثال القاعدة:

- المعطي المانعُ، الضَّارُّ النافِعُ، المعزُّ المذلُّ، القابضُ الباسِطُ، المضلُّ الهادي.

دليل القاعدة :

- قال تعالى : {ولله الأسماء الحسنى}فالله وصف أسماءه بأنها حسنى، فليس فيها ما يدل على النقص والعيب بوجه من الوجوه، وكمال الأسماءِ المزدوجة وحسنها لا يظهر إلا مع اقترانها فلذا لا تطلق على الله إلا مقترنة.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله قد غلا السعرُ، فسعِّرْ لنا فقال : ((إنَّ اللهَ هو المسعِّرُ، القابضُ الباسط، الرازق، إني لأرجو أنْ ألقَى ربي وليس أحدٌ يَطلُبُنِي بمظلمَةٍ في دمٍ ولا مالٍ)) فالنبي صلى الله عليه وسلم أجرى الأسماء المزدوجة مجرى الاسم الواحد، ولم يفصل بينها؛ لأن كمالها في اقتران كل اسم منها بالآخر، فدل على أن الأسماء المزدوجة تجرى مجرى الاسم الواحد.

انظر : [مجموع الفتاوى (٨/٩٤-٩٥)، شرح الأصبهانية (ص٣٧٥) بدائع الفوائد (١/٢٩٤-٢٩٥) إيثار الحق على الخلق (ص١٧٤)]

القاعدة الثامنة: حرمة الإلحاد في أسماء الله تعالى :

معنى القاعدة :

الإلحاد في أسماء الله هو: الميل بها عما يجب فيها.

يقول شيخ الإسلام :" وهكذا أَهْلُ السنةِ والجماعَةِ في الفِرَقِ، فَهُم في بَابِ أَسماءِ اللهِ وآيَاتِهِ وصفَاتِهِ وَسَطٌ بينَ أَهلِ التعطِيلِ الذين يُلْحِدُونَ في أسماءِ اللهِ وآيَاتِهِ، ويُعَطِّلُونَ حَقَائِقَ مَا نَعَتَ اللهُ به نفسَهُ؛ حتى يُشَبِّهُوهُ بالعَدَمِ والموَاتِ، وَبَينَ أَهلِ التَّمثِيلِ الذين يَضرِبُونَ له الأمثَالَ، وَيُشَبِّهُونَهُ بالمخلُوقَاتِ"

انظر : [مجموع الفتاوى (٣ / ١٣٠) ،(٣٧٣/٣)]

مثال القاعدة :

من أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى :

الأول: أن ينكر شيئا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب) ، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة) ، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به والإلحاد بجميع أنواعه محرم .

دليل القاعدة :

– أن الله تعالى هَدَّدَ الملحدين بقوله: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ،ومنه ما يكون شركا أو كفرًا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

انظر :[مجموع الفتاوى (٣ / ١٣٠)،(٣٧٣/٣)] اقتضاء الصراط المستقيم (٣٩٧/٢-٣٩٨)، الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٦٧) بيان تلبيس الجهمية (٥ / ٣٨٥)، التدمرية (ص٧) بدائع الفوائد لابن القيم (٢٩٨/١-٢٩٩)، القواعد المثلى ص ١٦]

ثانيًا :قواعد في صفات الله تعالى :

القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

معنى القاعدة : أن الله تعالى إذا وصف نفسه بأن له سمع وبصر وقدرة ويد وأمثال ذلك فاعلم أن ذلك على غاية الكمال فلا يماثله فيها شيء لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال ولا يعتريها نقص .

وأما صفات النقص التي لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى

وأما إذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصا في حال لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثْبَت له إثباتا مطلقا، ولا تُنْفَى عنه نفيا مطلقا، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصا، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها، لأنها حينئذٍ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصا في غير هذه الحال.

يقول ابن تيمية : " ...فَتَبَيَّنَ أَنَّ الرَّبَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، مَنْعُوتًا بِنُعُوتِ الْجَلَالِ " انظر : [مجموع الفتاوى (٥٢/١٢)].

مثال القاعدة :

- صفات الكال المطلق كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك.

- صفات النقص التي لا كمال فيها كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم.

- الصفة التي تكون كمالاً في حال، ونقصا في حال كالمكر والخداع والاستهزاء .

دليل القاعدة :

وقد دل على هذا: السمع والعقل والفطرة.

أما السمع:

- قوله تعالى: {لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى.

- أن الله نفى عن نفسه صفات النقص كقوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ} ، وقوله عن موسى {فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى} .

- الصفات التي تكون كمالا في حال ونقصا في حال لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} وقوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً} ، وقوله: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} وقوله: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} وقوله: {قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} .

وأما العقل:

- كل موجود حقيقة لا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} ، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}

وأما الفطرة:

– فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وهل تُحِب وتُعَظِّم وتَعْبُد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته .

انظر : [مجموع الفتاوى (٩٦/٨) مجموع الفتاوى (٥٢/١٢)،(١٤٧/٨) درء تعارض العقل والنقل (٢٤٣/٢-٢٤٤) الجواب الصحيح (١٢٢/٢-١٢٣) بيان تلبيس الجهمية (٤٣٨/٥-٤٣٩)، مختصر الصواعق للموصلي (٧٤٥/٢-٧٤٦)،القواعد المثلى ص ١٨ – ١٩]

القاعدة الثانية : باب الصفات أوسع من باب الأسماء ، وباب الإخبار أوسع من باب الصفات:

معنى القاعدة :

أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ لأن كل اسم متضمن لصفة ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء الصفات ؛ لأنك تخبر عن الله باسمه وبصفته ويجوز أن تخبر عن الله بما ليس اسماً له ولا صفة بشرط أن يكون حسناً أو ألا يكون سيئاً وإن لم يحكم بحسنه كالشيء والموجود والقديم والقائم بنفسه وهلم جراّ.

يقول ابن تيمية : " ويُفرَّق بينَ دعائِهِ والإخبار عنه، فلا يُدْعَى إلا بالأسماءِ الحسنى، وأما الإخبارُ عنه: فلا يكونُ باسمٍ سيِّئٍ، لكن قد يكونُ باسمٍ حَسَنٍ، أو باسمٍ ليس بسيئٍ، وإن لم يُحكَم بحسنه " انظر : [مجموع الفتاوى (١٤٢/٦)]

مثال ذلك :

– من صفات الله تعالى: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى ، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، بينما كل اسم فهو متضمن لصفة ، فالسميع متضمن لصفة السمع ، والبصير متضمن لصفة البصر وهلم جراّ.

دليل القاعدة :

– قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ} ، وقال: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ} ، وقال: {فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ} ، وقال: {وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ} ، وقال: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} ، وقال: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} . قال الله تعالى {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا".

– التفريق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار ثابتٌ بالشرع والعقل، فأمرنا الله إذا خاطبنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول يا رسول الله، بخلاف الإخبار عنه يجوز الإخبار عنه باسمه فيقال: محمد. وبه يظهرُ الفرق بين ما يدعى الله به من الأسماء الحسنى، وبين ما يُخبر به عنه مما هو حقٌّ ثابتٌ.

انظر : [مجموع الفتاوى (٦/١٤٢ – ١٤٣)،(٩/٣٠١) ، درء تعارض العقل والنقل (١/٢٩٧-٢٩٨)، القواعد المثلى ص ٢١].

القاعدة الثالثة : الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال ، فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر.

معنى القاعدة :

أن الصفات الثبوتية التي وصف الله بها نفسه كلها صفات كمال كالسمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام إلخ ، والغالب عليها في النصوص التفصيل؛ لأنه كلما كثر الإخبار عنها وتنوعت أدلتها ظهر

من كمال الموصوف بها ما لم يكن معلوما من قبل، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر من الصفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه.

وأما الصفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه فكلها صفات نقص لا تليق به كالعجز، والتعب، والظلم، ومماثلة المخلوقين إلخ ، والغالب عليها في النصوص الإجمال؛ لأن ذلك أبلغ في تعظيم الموصوف، وأكمل في التنزيه، فإن تفصيلها لغير سبب تقتضيه فيه سخرية وتنقص للموصوف.

يقول شيخ الإسلام : " والله تعالى فِي القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل، وينفي عنه على طريق الإجمال التشبيه والتمثيل" انظر : [مجموع الفتاوى (٣٧/٦)].

ولم يفصل في الصفات السلبية إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله، كما في قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} .

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: {أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً} .

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعيّن، كما في قوله: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ} ، وقوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} .

مثال القاعدة :

– يفصل في الصفات الثبوتية كقوله : "أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَأَنَّهُ غَفُورٌ وَدُودٌ، وَأَنَّهُ تَعَالَى عَلَى عِظَمِ ذَاتِهِ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَرْضَى عَنْهُمْ، وَيَغْضَبُ عَلَى الْكُفَّارِ، وَيَسْخَطُ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا **وأمثال ذلك** .

ويجمل في النفي كما في قوله تعالى: {ليس كمثله شيء} [الشورى: ١١] ،{ولم يكن له كفوا أحد} [الإخلاص: ٤] ،{هل تعلم له سميا} [مريم: ٦٥]،{فلا تجعلوا لله أندادا}.

ألا تَرَى أنَّك لو مَدَحْتَ مَلِكا فقلت له: أنت كريمٌ، شجاعٌ، إلى غير ذلك من صفَاتِ المدحِ، لكان هذا من أعظمِ الثنَاءِ.

ولو قلت: أنت ملكٌ لا يُسَامِيكَ أحدٌ في عصرك لكان ذلك مدحا؛ لأنَّك أَجمَلْتَ في النَّفيِ.

ولو قلت: أنت مَلك غيرُ بخيلٍ، ولا جبَانٍ، ولا كنَّاسٍ، وما أشبه ذلك من التفصيل لَعُدَّ ذلك استهزاءً وتنقصا فإذا كان هذا في المخلوق فكيف بالخالق سبحانه وتعالى .

دليل القاعدة :

- قوله تعالى: {هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم}وقوله: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}وقوله: {اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}وقوله:{وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}فإن الله قد أثبت لنفسه السمع والرؤية والكلام إلى آخر ما ذكره الله من الأسماء والصفات على سبيل التفصيل ، وهكذا غالب الصفات الثبوتية، فإنها تُعين وينص عليها في القرآن والسنة .

- قوله تعالى: {ليس كمثله شيء} وقوله:{ولم يكن له كفوا أحد} وقوله:{هل تعلم له سميا} وقوله:{فلا تجعلوا لله أندادا} هذه الآيات الكريمات جاء النفي فيها على سبيل الإجمال، فنفى الله عن نفسه المماثلة مطلقا، ونفى الكفؤ والند مطلقا، ونزه نفسه عما يصفه به المخالفون للرسل مطلقا، دون تعرض لنفي نقائص معينة إلا فيما ندر مما يدل على أنَّ هذه هي طريقة القرآن في النفي والإثبات.

انظر: [التسعينية (١/١٧١)،مجموع الفتاوى (٢/٤٧٩)، (٦/٣٧) (٦/٦٦-٥١٥)،(١٢/٤٣٢)،(١١/٤٨٠)، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٢٩٥) ،بيان تلبيس الجهمية (١/٢٢٠) التدمرية (ص٨) القواعد المثلى للشيخ ابن

عثيمين (ص٦٢)، تقريب التدمرية للشيخ ابن عثيمين (ص٢٠-٢١)، شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين (ص١٤١)].

القاعدة الرابعة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية. وسلبية.

معنى القاعدة :

الصفات الثبوتية: هي التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه. فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به .

والصفات السلبية: هي التي نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات نقص في حقه، **فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل**، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال؛ وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالاً، كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصا، كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمّة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يقول ابن تيمية:" اللهُ سبحانه موصوفٌ بالإثباتِ والنَّفيِ..." انظر: [التدمرية (ص٥٧-٦٠]

ويقول أيضاً : " والمنفِيُّ عنه لابُدَّ أنْ يَستَلزِمَ وصْفا ثُبُوتِيا" انظر: [مجموع الفتاوى (٦/٤٩٠)]

مثال القاعدة :

– الصفات الثبوتية كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

– الصفات المنفية أو السلبية كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب ونحو ذلك.

دليل القاعدة :

– **أما السمع**: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً} فالإيمان بالله يتضمن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله صلى الله عليه وسلم يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد صلى الله عليه وسلم رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله عز وجل.

– عامة ما وصف اللَّه به نفسه من النفي متضمنا لإثبات مدح كقوله تعالى:{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ} ، فهنا نفى الله عنه نفسه الموت وأثبت كمال الضد وهو الحياة .

– قوله تعالى: {وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} نفى الله عنه نفسه الظلم مع إثبات كمال الضد وهو كمال عدله.

– **وأما العقل**: فلأن الله تعالى أخبر عن نفسه بهذه الصفات الثبوتية عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثا من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد .

انظر : [مجموع الفتاوى (٦/٤٩٠)، (١٧/١٠٩-١١٠) ، التدمرية (ص٥٧-٦٠)، بيان تلبيس الجهمية (٣/٥٦٣) مختصر الصواعق للموصلي (٢/٣٨٩-٣٩٠) (٢ / ٥٣٣)،تقريب التدمرية للشيخ ابن عثيمين (ص٤٨ – ٤٩)، القواعد المثلى ص(٢٢ – ٢٣)].

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى ثلاثة أقسام : ١- ذاتية فقط ، ٢- فعلية فقط ، ٣ - ذاتية وفعلية.

معنى القاعدة :

الصفات الذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها. [وعرفها ابن القيم بقوله: هي التي لا تنفك عن الذات] انظر: حادي الأرواح لابن القيم (ص٤٥٣)

الصفات الفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها. [وعرفها ابن تيمية بقوله : هي التي تقُومُ بذَاتِ اللهِ بمشيئَتِهِ وقدرتِهِ] انظر : مجموع الفتاوى (٦ / ٢١٧).

الصفات الذاتية الفعلية : قد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}

يقول ابن تيمية :" قالَ الإمامُ أحمدُ في روَايَةِ حنبلٍ في كتَابِ المحنَةِ: لم يَزَل اللهُ عَالما، مُتَكلِّما، غَفُورا، فبيَّن اتصَافَهُ بالعِلمِ وهو صفَةٌ ذاتيَّةٌ محضَةٌ، وبالمغفِرَةِ وهي مِنَ الصفَاتِ الفعليَّةِ " انظر : [البعلبكية (ص١٧٩)].

ويقول أيضاً : " ومذهب السلف أنَّه – أي: الكلام – صفة ذات وفعل معا" انظر : [مجموع الفتاوى (١٢/٤٣٨)].

مثال القاعدة :

– الصفات الذاتية كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة. ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.

– الصفات الفعلية كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

– الصفات الذاتية الفعلية كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء.

دليل القاعدة :

– قوله تعالى : {يد الله فوق أيديهم}وقوله{ويبقى وجه ربك }فالله أخبر أنَّه وصف نفسه بالوجه، واليدين، ولم يُعَلِّقْها بالمشيئة، فهي صفات ذاتية محضة لا تنفك عن الذات، فلم يزل الله متصفا بها ولا يزال.

– {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} فالكلام هنا تعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، وقوله: {فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين}فالله بيَّن في هذه الآية الكريمة أنَّ مناداة موسى كانت حين مجيئه وإتيانه، فلم يكن النداء في الأزل، فدل على إثبات الصفات الفعلية، وأنها متعلقة بالمشيئة

انظر : [مجموع الفتاوى (١٢/٤٣٦ – ٤٣٨)،(١٣/١٦٩)،البعلبكية (ص١٧٩) ، القواعد المثلى ص ٢٥].

القاعدة السادسة: الصفات الفعلية تنقسم إلى قسمين: لازمة ومتعدية.

معنى القاعدة :

معنى الفعل اللازم: هو ما لا يتعدى إلى مفعوله

ومعنى الفعل المتعدي: هو ما يتعدى إلى مفعوله .

وكلٌّ من الفعل اللازم والمتعَدِّي حاصل بمشيئة الله، والفعل لابد له من فاعل، سواء كان الفعل متعديا إلى مفعول أو لم يكن. والفاعل لابد له من فعل، سواء كان فعْلُهُ مقتصِرا عليه أم متعدِّيا إلى غيره. والفعل المتعَدِّي إلى غيره لا يتعدَّى حتى يقومَ بفاعله.

مثال القاعدة :

- الفعل اللازم كالاستواء، والمجيء، والإتيان، والنزول.

- الفعل المتعدي كالخلق؛ فإنه يقتضي مخلوقا، والرزق؛ فإنه يقتضي مرزوقا، وهكذا الهدى، والإضلال، والتعليم، والبعث، والإرسال، والتكليم.

دليل القاعدة :

- {الرحمن على العرش استوى}وقوله : {وجاء ربك والملك صفا صفا} وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((ينزلُ ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا حين يبقَى ثُلثُ الليلِ الآخر، يقول: مَن يدعوني فأستجيبَ له؟ مَن يسألني فأعطيَهُ؟ من يستغفرني فأغفرَ له؟)) فالله قد وصف نفسه بالاستواء، والمجيءِ، والنزول، وهي كلها أفعال ولم يُعَدِّها إلى المخلوق، فدل على أن الله متصف بالأفعال اللازمة التي لا تتعدَّى للمخلوق.

- قَوْلُهُ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} وقوله:{الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون} فالله قد وصف نفسه بالخلق وأنه خلق السموات والأرض، ووصف نفسه بالسمع وأنَّه قد سمع قول التي تجادل النبيَّ ﷺ في زوجها، فهذه الصفات من الصفات الفعلية المتعديَةِ للمخلوق.

انظر : [الحجة في بيان المحجة (٣٢٨/١)، درء تعارض العقل والنقل (٣/٢-٤)، مجموع الفتاوى (٢٣٣/٦) (١٩/٨- ٢٠)، القواعد المثلى ص ١٠]

القاعدة السابعة: يلزم في باب الصفات التخلي عن خمسة محاذير :

معنى القاعدة :

يجب في باب الأسماء الصفات الحذر والبعد عن خمسة أمور :

١ – التمثيل : هو اعتقاد أن صفات الله مثل صفات المخلوقين.

والتمثيل باطل؛ لأن مذهب أهل السنة هو إثبات الصفات من غير تمثيل لها بصفات المخلوقين .

٢ – التكييف : هو اعتقاد أن كيفية صفات الله تعالى على حقيقة معينة، من غير تقييدها بمماثل.
والتكييف باطل؛ لأن مذهب أهل السنة هو إثبات الصفات من غير تكييف .

٣ – التعطيل: هو نفي الأسماء والصفات كلها، أو نفي بعضها.

وهو نوعان:

– تعطيل كلي: كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الأسماء والصفات وكتعطيل المعتزلة الذين أنكروا الصفات دون الأسماء.

– تعطيل جزئي: كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفاتِ دون بعض.

والتعطيل باطل؛ لأن مذهب أهل السنة إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

٤ – التحريف [التأويل المذموم]: هو تغيير نصوص الصفات لفظا، أو معنى عن مراد الله بها.

وهو نوعان:

– تحريف لفظي يتغير معه المعنى كنصب اسم الله في قوله تعالى : {وكلم اللهَ موسى تكليما}

– تحريف معنوي وهو: العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر، كتحريف معنى اليدين إلى القوة والنعمة أو الاستواء بمعنى الاستيلاء أو مجيء الله بمعنى مجيء أمره.

والتحريف باطل ؛ لأن مذهب أهل السنة هو إجراء النصوص على ظاهرها من غير تحريف.

٥ – التفويض : هو القول بأن صفات الله لا يعرف معناها فيفوضون معانيها إلى الله، مع نفي الظاهر المتبار منها إلى الذهن وهو إثبات الصفة لله.

والتفويض باطل لأن مذهب أهل السنة هو إثبات المعنى وتفويض الكيفية.

مثال القاعدة :

– مثال التمثيل في صفات الله كقول المشبهة يد الله كيدي .

– مثال التكييف في صفات الله كقول الهشامية: "طوله كعرضه" تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا

– مثال التعطيل : إنكار الأسماء والصفات كالجهمية أو إنكار الصفات كالمعتزلة

– مثال التحريف في صفات الله كقول الأشاعرة استواء الله على العرش بمعنى الاستيلاء ، ويد الله بمعنى القدرة أو النعمة .

– مثال التفويض كقول الأشاعرة [وجاء ربك] [ينزل ربنا كل ليلة] لا يعرف ما معنى النزول ولا المجيء .

دليل القاعدة :

– أما السمع:

– من أدلة بطلان التمثيل : قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} .

- ومن أدلة بطلان التكييف : قوله تعالى: {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً} ، من المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا، لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

- ومن أدلة بطلان التعطيل : قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ والآيات في هذا الباب كثيرة التي فيها إثبات الصفات، فنفيها عن الله معارضة للكتاب والسنة.

- ومن أدلة بطلان التحريف : قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فبين أنه أنزله عربيًا لأن يفهموا معانيه وفق ظاهر لسان العرب .

- ومن أدلة بطلان التفويض : قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أن الله لم يستثن شيئًا من كتابه لم يتحقق فيه وصف البيان، كما أن نبيه ﷺ وصف كلام ربه بأنه مُبِين ، فدعوى أن نصوص الصفات مجهولة وأنها لم تبين للناس تخصيص للنصوص بلا مخصص وبرهان.

وسيأتي مزيد من الرد عند دراسة آراء المخالفين في الأسماء والصفات .

انظر : [مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٦٥/٣) ،الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٦٧/٢-٢٦٨) والصواعق المرسلة لابن القيم (١٧٥/١-١٧٨)ومختصر الصواعق للموصلي (٩٣٦/٣-٩٣٧) ، وفتح رب البرية للشيخ ابن عثيمين (ص١٨ – ١٩)، القواعد المثلى ص ٢٥ معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص٥٩]

القاعدة التاسعة: صفات الله توقيفية .

تقدم الكلام عنها ضمن قاعدة أسماء الله توقيفية ص **١٠**

القاعدة العاشرة : صفات الله غير محصورة بعدد معين :

تقدم الكلام عنها ضمن قاعدة أسماء الله غير محصورة بعدد معين ص **١١**

المسألة الرابعة

استعراض بعض أسماء الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة، ومعنى إحصائها

الله تعالى قد جعل لكل مطلوب سببا وطريقا يوصل إليه. والإيمان أعظم المطالب وأهمها وأعمها، وقد جعل الله له مواد كبيرة تجلبه وتقويه، كما كان له أسباب تضعفه وتوهيه.

ومما يزيد الإيمان ويقويه : معرفة وحفظ أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والتعبد لله فيها. وقد ورد في الصحيحين ما يد على فضل من أحصاها ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة» أي: من حفظها وفهم معانيها، واعتقدها، وتعبد لله بها – دخل الجنة. والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون.

ومعنى إحصاء أسماء الله الحسنى الوارد في الحديث :

أولا: الإحاطة بها لفظا.

ثانيا: فهمها معنى

ثالثا: التعبد لله بمقتضاها ، وذلك يكون بأمرين : ١ – أن تدعو الله بها؛ لقوله تعالى: [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: من الآية ١٨٠] .بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك، فعند سؤال المغفرة تقول: يا غفور! وليس من المناسب أن تقول: يا شديد العقاب! اغفر لي، بل هذا يشبه الاستهزاء، بل تقول: أجرني من عقابك.

٢– أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء؛ فمقتضى الرحيم الرحمة، فاعمل العمل الصالح الذي يكون جالبا لرحمة الله، ومقتضى الغفور المغفرة، إذن افعل ما يكون سببا في مغفرة ذنوبك.

وعليه ليس المراد بالإحصاء الحفظ والعد فقط ، بل لابد من توفر هذه الأمور الثلاثة حتى ينال هذا الفضل العظيم الذي ورد في الحديث. انظر: [الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥، بدائع الفوائد للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، (١/ ١٦٤) ،فتح الباري (١١/ ٢٢٥-٢٢٦)، تيسير العزيز الحميد ص ٥٥٥ ، التوضيح والبيان للسعدي ص ٧١ ، معارج القبول (١ / ١٢٥- ١٢٦)].

وأسماء الله جل وعلا كثيرة لا تحصى، **ولذا سأقتصر على بعض أسماء الله الحسنى مع بيان معانيها** :

١- الله: هو المألوه المعبود.

٢- الرب: هو الخالق والمالك والمدبر ، ومربي جميع الخلق بالنعم.

٣- ٤ - الرحمن الرحيم: اسمان يدلان على الرحمة، والرحمن دال على الصفة القائمة به، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم.

٥-الأحد: هو المتفرد بالكمال والوحدانية الذي لا نظير له ولا مثيل ولا شريك.

٦-الصمد: الكامل في أوصافه، الذي تصمد إليه الخلائق وتقصده في حوائجها.

٧-القيوم: قال تعالى : { الله لا إله إلا هو الحي القيوم } والقيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره، فهو الغني عن غيره، ولا قيام لغيره إلا به.

٨- العليم: الذي أحاط علمه بكل شيء، كما قال تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: ٥٩] (الأنعام الآية: ٥٩) .

٩-الحكيم: هو الحاكم بين خلقه بأمره الكوني وأمره الشرعي في الدنيا والآخرة يحكم بما يشاء لا معقب لحكمه، وهو ذو الحكمة فأمره وخلقه في غاية الإحكام والإتقان والحسن.

١٠-الخبير: المحيط ببواطن الأشياء وظواهرها.

المسألة الخامسة

آراء المخالفين لأهل السنة في باب الأسماء والصفات والرد عليها

الآراء المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات كثيرة، وهي ترجع إلى أربع مقالات ، وكل مقالة لها أتباع من الطوائف المنحرفة ، وهذه المقالات هي :

١ – مقالة التمثيل أو التشبيه : وهي تشبيه صفات الله بصفات خلقه كأن يقول يد الله كيدي .

أتباع هذه المقالة من الطوائف :

أ– قدماء الرافضة الإمامية كالهشامية من الرافضة أتباع هشام بن الحكم الرافضي، أو أتباع هشام بن سالم الجواليقي الرافضي ، أو الجواربية أتباع داود الجواربي

ب– غلاة المتصوفة

يقول شيخ الإسلام : "كتب المقالات كلها تخبر عن أئمة الشيعة المتقدمين من المقالات المخالفة للعقل والنقل في التشبيه والتجسيم بما لا يعرف نظيره عن أحد من سائر الطوائف، ثم قدماء الإمامية ومتأخروهم متناقضون في هذا الباب، فقدماؤهم غلوا في التشبيه والتجسيم، ومتأخروهم غلوا في النفي والتعطيل، فشاركوا في ذلك الجهمية والمعتزلة دون سائر طوائف الأمة..." انظر : [منهاج السنة النبوية (٢/ ١٠٣)]

ويقول أيضاً : " قال الأشعري: وفي الأمة قوم ينتحلون النسك، يزعمون أنه جائز على الله تعالى الحلول في الأجسام ، وإذا رأوا شيئا يستحسنونه قالوا: لا ندري، لعله، ربما هو. ومنهم من يقول: إنه يرى الله في الدنيا على قدر الأعمال ، فمن كان عمله أحسن رأى معبوده أحسن. ومنهم من يجوز على الله تعالى المعانقة والملامسة والمجالسة في الدنيا (٨) ، ومنهم من يزعم أن الله تعالى ذو أعضاء

وجوارح وأبعاض: لحم ودم على صورة الإنسان، له ما للإنسان من الجوارح..." انظر :[منهاج السنة النبوية (٢/ ٦٢٢ – ٦٢٥) ، (٢ / ٥٢٨ – ٥٣٠)].

الرد على هذه المقالة وأتباعها :

فقد ذكر العلماء بطلان التمثيل من وجوه عديدة ، منها :

١ – هذه المقالة مصادمة للنصوص الصريحة كقوله تعالى : : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١] وقال: {فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} [النحل: ٧٤] . ففي الآية الأولى نفى أن يكون له مماثل مع إثبات السمع والبصر له. وفي الثانية نهى أن تضرب له الأمثال، فجمع في هاتين الآيتين بين النفي والنهي.

٢ – مخالفتهم لإجماع السلف ؛ فإن السلف كفروا من شبه الله بخلقه ، يقول نعيم بن حماد : "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها" انظر : [العلو للذهبي ص ١٢٦ وانظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري ص ١١٨ ، أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢ / ٤١٧].

٣ – كذلك العقل دل على بطلانه ، وقد بين ذلك شيخ الإسلام حيث يقول : "وقد دلنا على ذلك العقل، –يعني على بطلان التمثيل– فإن المثَلَين الذين يسدّ أحدهما مسدّ الآخر، يجب لأحدهما ما يجب للآخر، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، ويجوز عليه ما يجوز عليه، فلو كان للخالق مِثلٌ، لَلَزم أن يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع، والخالق يجب له الوجود والقدم ويمتنع عليه العدم، فليزم أن يكون المخلوق واجب الوجود قديماً أزليّاً لم يعدم قط، وكونه محدثاً مخلوقاً، يستلزم أن يكون كان معدوماً، فيلزم أن يكون موجوداً معدوماً، قديماً محدثاً، وهو جمع بين نقيضين يمتنع في بداية العقول، وأيضاً فالمخلوق يمتنع عليه القدم ويجب له سابقة العدم، فلو وجب للخالق القديم ما يجب له، لوجب كون الواجب للقدم واجب الحدوث بعد العدم وهذا جمع بين النقيضين، فالعقل الصريح يجزم بأن الله ليس كمثله شيء".

ومعنى كلام شيخ الإسلام : لو جعلت لله مِثل، يلزمك أن تجعل هذا المثيل مثل الله، يجب له ما يجب لله، ويجوز عليه ما يجوز على الله، ويمتنع عليه ما يمتنع عن الله، فتجعل هذا المخلوق قديم وأزلي ويعلم الغيب وأنه لا يجوز عليه العدم، ولا يمكن أن يكون محدَثاً، ولا يمكن أن يكون مسبوقاً بالعدم وهذا محال، لأنه جمع بين النقيضين، لأنه مخلوق ، والمخلوق مسبوق بعدم ، وكذلك يقال في العكس فيلزم لو جعلت لله مثيل أن يكون الله جائز عليه العدم وجائز عليه الحدوث ويجوز عليه ما يجوز على المخلوق وهذا ممتنع، لأنه جمع بين النقيضين ، فهو الخالق والخالق يمتنع عليه العدم ، فتبين حينئذ أن الله لا مثيل له .

٤ – من الأدلة التي يُبطل بها التمثيل أن الرسول ﷺ قال: (لن تروا ربكم حتى تموتوا)، والشيء الغيبي لا تدرك حقيقته إلا برؤيته أو بمشاهدة نظيره أو بخبر صادق، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل وتمثيلها، فوجب بطلان تكييفها وتمثيلها . فكيف عرفت أنّ يد الله مثل يد فلان؟ أو بصر الله مثل بصر فلان؟ وأنت لم تر الله؟! ، ولم تر نظيره؟!، ولم يخبرك الصادق المصدوق بذلك؟!، فهذا يدل على بطلان التكييف والتمثيل ؛ لأن الحقيقة والكيفية لا تدرك إلا بواحدة من الأمور الثلاثة .

٥ – الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات ، فالاتفاق في اللفظ والمعنى الكُلِّيِّ بين اسمين أو وصفين لا يلزم منه المساوَاة في المسمَّيَات والموصوفات ، فمثلا : لفظ الوجود : فالله موجود ، والمخلوق موجود ، ووجود الله قديم واجب بنفسه، ووجود المخلوق محدَثٌ، يَقْبَلُ الوجود والعدم، فهذا موجود وهذا موجود، ولا يلزم من اتِّفَاقِهِما في مُسَمَّى الوُجُودِ أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود الله يخصه ووجود الإنسان يخصه، واتفَاقُهُما في اسمٍ عامٍّ . وهو لَفْظُ الوُجُودِ . لا يَقْتَضِي تماثُلُهما في مُسَمَّى ذلك الاسم .

وإذا قارنا بين المخلوقات نجد اتفاقهم في الأسماء والصفات لا يوجب تماثل مسمياتهم ، فمثلاً : وجه الأسد ووجه النملة اتفقا في الاسم للوجه واختلفا في المسمى والحقيقة ، فوجه الأسد ليس كوجه النملة ، فإذا كان هذا التباين حاصل في المخلوقات فبين الخالق والمخلوق من باب أولى .

٦- القول في الصفات كالقول في ذات الله من حيث الإثبات والنفي، فكما أنَّه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى التشبيه، فكذلك ليس في إثبات الصفات ما يفضي إلى التشبيه. فمن أثبت لله ذاتا لا تماثل ذوات المخلوقين لزمه أَنْ يثبت له صفات لا تماثل صفات المخلوقين، فكما أنَّ لله ذاتا حقيقة فكذلك له صفات حقيقة، وكما أنه لا يلزم من إثبات الذات تمثيلا فكذلك لا يلزم من إثبات الصفات تمثِيلا.

٢ – مقالة التعطيل : وهي نفي الأسماء والصفات بالكلية كالفلاسفة والجهمية أو نفي الصفات دون الأسماء كالمعتزلة والزيدية والمتأخرين من الرافضة الإمامية.

أتباع هذه المقالة من الطوائف :

- الفلاسفة
- الباطنية
- الجهمية
- المعتزلة
- الزيدية
- متأخرو الرافضة الإمامية .

يقول شيخ الإسلام : " وقول جهم هو النفي المحض لصفات الله تعالى وهو حقيقة قول القرامطة الباطنية ومنحرفي المتفلسفة: كالفارابي وابن سينا..." انظر : [مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٥)]

ويقول أيضاً " والتحقيق: أنّ التجهّم المحض؛ وهو نفي الأسماء والصفات؛ كما يُحكى عن جهم، والغالية من الملاحدة، ونحوهم ممّن نفى أسماء الله الحسنى كفرٌ، بيِّنٌ، مخالفٌ لما علم بالاضطرار من دين الرسول. وأما نفي الصفات، مع إثبات الأسماء؛ كقول المعتزلة: فهو دون هذا لكنّه عظيمٌ أيضاً" انظر : [النبوات لابن تيمية (١/ ٥٧٨) وانظر : الفتاوى (٣ / ١٠٣) ،(٨ / ٤٦٨)، شرح الأصبهانية ص (٦٨)، منهاج السنة النبوية (٢/ ١٠٣)]

الرد على هذه المقالة وأتباعها :

فقد ذكر العلماء بطلان التعطيل من وجوه عديدة ، منها :

١- نفي الأسماء والصفات مخالف للنصوص الشرعية المصرّحة بإثبات الصفات، فنفيها عن الله معارضة للكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ ولهذا لم يخبر الله قَطّ بذات مجردة عن الأسماءِ والصفات، بل النصوص متضافرة باتصاف الرب بالصفات ؛لأن من لا تقوم له الصفات عدم محض.

٢- نفي الأسماء والصفات أو الصفات فقط مخالف لإجماع السلف ، يقول نعيم بن حماد : "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها" انظر : [العلو للذهبي ص ١٢٦].

ولذا يقول ابن تيمية : " أَنَّهُمْ – أي السلف – نَقَلُوا إلَيْنَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَأَخْبَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَقْلَ مُصَدِّقٍ لَهَا مُؤْمِنٍ بِهَا قَابِلٍ لَهَا؛ غَيْرِ مُرْتَابٍ فِيهَا؛ وَلا شَاكٍّ فِي صِدْقِ قَائِلِهَا، وَلَمْ يُفَسِّرُوا مَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ مِنْهَا وَلا تَأَوَّلُوهُ، وَلا شَبَّهُوهُ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ إذْ لَوْ فَعَلُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَنُقِلَ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يُكْتَمَ بِالْكُلِّيَّةِ؛ إذْ لا يَجُوزُ التَّوَاطُؤُ عَلَى كِتْمَانِ مَا يُحْتَاجُ إلَى نَقْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ؛ لِجَرَيَانِ ذَلِكَ فِي الْقُبْحِ مَجْرَى التَّوَاطُؤِ عَلَى نَقْلِ الْكَذِبِ وَفِعْلِ مَا لا يَحِلُّ" انظر : [مجموع الفتاوى (٣/٤)].

٣- نفي الأسماء والصفات عن الله يستلزم نفي وتعطيل ذاته عز وجل؛ لأن الذات والصفات لا يمكن وجود أحدهما في الخارج دون وجود الآخر، فالذات لا يمكن أن تكون في الخارج إلا موصوفة، والصفات لا تقوم بنفسها بل لا بد لها من محل تقوم به، وهذا ما يقرره النقل الصريح مع العقل الصحيح.

٤– هذه الصفات أضافها إلى الله نفسه ، والمضَافُ إلى اللهِ نَوعَان: إمَّا أنْ يَكُونَ صفةً لا تَقُومُ بنفسِهَا، كالعلمِ والقُدرَةِ والكَلامِ والحياةِ، وإمَّا أَنْ يَكونَ عَيْنا قائمةً بنفسِهَا كبيت الله وناقة الله ، فَأمَّا الصفَاتُ القَائِمَةُ بغيرها، مثل العلمِ، والقدرَةِ، والكَلامِ، والمشيئة، إذا أُضِيفَتْ كانت إضَافَة صِفَةٍ إلى مَوْصُوفٍ لأنَّ الأعْيَانَ القائِمَةَ بنفسِهَا قَد عَلِمَ المخاطَبُونَ أنها لا تَكُونُ قائمَةً بذَات اللهِ، فَيَعلَمُونَ أنها لَيست إضَافَة صِفَةٍ، وأما الصِّفَاتُ القَائِمَةُ بغيرها فَيَعلَمُونَ أنه لابُدَّ لها مِن مَوصُوفٍ تقُومُ به وتُضَافُ إليه، فإذا أُضِيفَتْ علم أنها أُضِيفَتْ إلى الموصُوفِ التي هي قَائِمَةٌ به ، فالإضافة تقتضي التخصيص ؟

٥ – صِدقَ المشتَقِّ لا يَنفَكُّ عَن صِدقِ المشتَقِّ منه، فإذا صَدَقَ على اللهِ أنَّه سميعٌ بصيرٌ لَزِمَ أنْ يَصدُقَ حُصُولُ السمعِ والبصرِ لَهُ؛ لأنَّ السمِيعَ والبصيرَ مُشتَقٌّ من السمعِ والبَصَرِ ، ولذا فإنَّ الاسمَ المشتَقَّ تابعٌ للمشتَقِّ منه في النَّفيِ والإثباتِ، فَإذَا انْتَفَتْ حَقيقَةُ الرحمةِ والعلمِ والسمعِ والبصرِ انتَفَت الأسماءُ المشتَقَّةُ منها عقلا ولغة ،إذ لا يعقل كونه قادرا من غير قدرة، ععالما من غير علم.

٦ – القول في الصفات كالقول في ذات الله من حيث الإثبات والنفي، فكما أنَّه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى التشبيه، فكذلك ليس في إثبات الصفات ما يفضي إلى التشبيه. فمن أثبت لله ذاتا لا تماثل ذوات المخلوقين لزمه أَنْ يثبت له صفات لا تماثل صفات المخلوقين، فكما أنَّ لله ذاتا حقيقة فكذلك له صفات حقيقة، وكما أنه لا يلزم من إثبات الذات تمثيلا فكذلك لا يلزم من إثبات الصفات تمثِيلا.

٧ – انتِفَاءُ الدَّليلِ المعَيَّنِ لا يَقتَضِي انتفَاءَ المدلُولِ، فَهَبْ أنَّ ما سَلَكْتَ مِنَ الدليلِ العقليِّ لا يُثبِتُ الصِّفَةَ التي نَفَيتَها فإنَّه لا ينفِيهَا، وليس لك أنْ تَنفِيها بغيرِ دَليلٍ؛ لأنَّ النَّافي عليه الدليل كما على

المُثْبِتِ.والسمعُ قد دَلَّ عليه ولم يُعَارِضْ ذلك مُعَارِضٌ عقليٌّ ولا سمعيٌّ، فَيجِبُ إثبَاتُ ما أثبَتَهُ الدَّليلُ السالِمُ عن المعَارِضِ.

انظر : [مجموع الفتاوى (١٩/٣) (١٩٧/٥-١٩٨) (٦ / ٢٠٦) (٣٥١/١٢، ٥١٣ – ٥١٤) (٥١٨/١٢-٥١٩) (١٣٤/١٤)الجواب الصحيح (٣٥٩/١ – ٣٦٠)، بيان تلبيس الجهمية (٥٣٤/٦-٥٣٥) ودرء تعارض العقل والنقل (٥ / ٣٣ – ٣٤) (١٦٣/٥) (٢٧٣/٥) (٢٦٥/٧-٢٦٦)، التدمرية (ص١٥-١٦)، (٥١٦) وشرح حديث النزول (ص١١٣)، والتسعينية (٤٠٧/٢ ، ٤٤٣ – ٤٤٤)،(٩٣٨/٣) شرح العقيدة الأصبهانية (ص٢٨) ،الروح لابن القيم (ص٣٧١) مختصر الصواعق للموصلي (٣ / ٨٦٦)]

٣– مقالة التحريف – أو التأويل المذموم – : وهي إثبات الأسماء ونفي بعض الصفات دون البعض الآخر .

أتباع هذه المقالة من الطوائف :

- الكلابية
- قدماء الأشاعرة ومتأخريهم
- الماتريدية

فأما الكلابية :أتباع أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب، وقدماء الأشاعرة كأبي الحسن الطبري والباقلاني وابن فورك فهم ينكرون الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئته ، وأما ما عداها من الصفات الخبرية فيثبتونها في الجملة كالوجه واليدين والعين و والصفات التي يسمونها عقلية كالعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام ، ولربما فوضوا بعض معاني هذه الصفات، وكذلك هم يؤولون بعض الصفات الخبرية كالقبضة والقدم والأصابع ، **لكن صفتهم البارزة هي: إنكار الصفات الفعلية التي تتعلق بمشيئته.**

يقول ابن تيمية " بل أئمة المتكلمين يثبتون الصفات الخبرية في الجملة. وإن كان لهم فيها طرق كأبي سعيد بن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأئمة أصحابه: كأبي عبد الله بن مجاهد وأبي الحسن الباهلي والقاضي أبي بكر بن الباقلاني وأبي إسحاق الإسفراييني وأبي بكر بن فورك وأبي

محمد بن اللبان وأبي علي بن شاذان وأبي القاسم القشيري وأبي بكر البيهقي وغير هؤلاء. فما من هؤلاء إلا من يثبت من الصفات الخبرية ما شاء الله تعالى. وعماد المذهب عنهم: إثبات كل صفة في القرآن. وأما الصفات التي في الحديث: فمنهم من يثبتها ومنهم من لا يثبتها..." انظر : [مجموع الفتاوى (٤ / ١٤٧ – ١٤٨)،(٥/ ٣٨٦)،(٦ / ٥٢)]

وأما متأخرو الأشاعرة كالجويني والرازي والآمدي وهو المذهب المعتمد اليوم عند الأشاعرة وكذلك الماتريدية أتباع أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي فهم: يثبتون سبع صفات أو ثمانية ويؤولون ما عداها أو يفوضونها .

وهذه الصفات السبع هي : العلم والحياة والسمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام ، وزاد الماتريدية صفة ثامنة وهي التكوين.

وكل من الكلابية والأشاعرة سواء المتقدمين منهم أو المتأخرين وكذلك الماتريدية ، فلهم مسلكان مع الصفات التي لا يثبتونها :

أ– التأويل : فهو يؤولون جميع الصفات الأخرى عدا الصفات السبعة أو الثمانية ويصرفونها عن معانيها الظاهرة .

ب– التفويض، وهي المقالة التي ستأتي لاحقاً. انظر : [مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٨ – ٣٥٩)]

يقول ابن تيمية : " وأبو المعالي وأتباعه نفوا هذه الصفات موافقة للمعتزلة والجهمية.

ثم لهم قولان: أحدهما تأويل نصوصها، وهو أول قولي أبي المعالي، كما ذكره في الإرشاد.

والثاني: تفويض معانيها إلى الرب، وهو آخر قولي أبي المعالي كما ذكره في الرسالة النظامية وذكر ما يدل على أن السلف كانوا مجمعين على أن التأويل ليس بسائغ ولا واجب..." انظر :[درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٤٩)]

الرد على هذه المقالة وأتباعها :

رد أهل العلم على هذه المقالة بأكثر من ٤٢ وجهاً ذكرها ابن القيم في الصواعق المرسلة ، ويمكن تلخيص هذه الردود، فيقال: أن التأويل باطل من ستة أوجه :

الأول: باطل في أصل وضعه.

والثاني: باطل من جهة منهجه.

والثالث: باطل من جهة النتائج التي أخرج إليها التأويل.

والرابع: باطل من جهة المحاذير التي ترتبت عليه.

والخامس: باطل من جهة الأسباب التي دعت إليه.

والسادس: باطل من جهة الأسباب التي نشرته وسوّغته بين الناس.

هذه الأمور الستة تبطل التأويل بوجه عام ، وأفصلها لكم على النحو الآتي:

أما الوجه الأول: باطل في أصل وضعه، يتضح ذلك من عدة أمور:

أولًا: أن التأويل بدعة على الشرع وعلى اللغة، والناس من قبل لا يعرفونه ولم يتكلموا فيه، والرسول ﷺ يقول: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)، والمردود باطل.

ثانيًا: أنه ظهر على أيدي المتكلمين في القرون المتأخرة وهم دخلاء، استحدثوه وليسوا أمناء على الشرع ولا على اللغة، فهم مبتدعة.

ثالثًا: أنه مبني على حقيقة باطلة وهي تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز، وهذا التقسيم باطل.

النتيجة : هذه الأوجه الثلاثة تدل على بطلان التأويل.

وأما الوجه الثاني: باطل من جهة المنهج، يتضح ذلك من أمرين:

أولًا: أن الكلام المؤول لا يصحّ تأويله ولا يصح الحكم على هذا التأويل بالصحّة حتى يكون فيه أربعة أمور:

أ- إقامة الدليل على احتمال اللفظ للمعنى الذي ذكره في اللغة ، لأن اللفظ قد لا تدل عليه لغة العرب.

ب- إقامة الدليل على أن تعيين هذا المعنى المؤول؛ لأن اللفظ قد يكون له عدة معاني ، فتعيين احتمال اللفظ لهذا المعنى وأنه هو الصحيح دون ما سواه وأنه هو مراد المتكلم يحتاج إلى دليل .

ج – لا بد أن يقيم الدليل على عدم إرادة المتكلم للأصل وهو ظاهر المعنى المتبار إلى الذهن من اللفظ .

د – أن يجيب المؤول أن أدلة المعارض وأنى له ذلك ، ومن ذلك أن يُوجِد الفرق بين ما يسوغ تأويله وما لا يسوغ تأويله، يعني آيات الإرادة والسمع والبصر لا تُوّول عند الأشاعرة، بينما آيات الرضا والغضب والاستواء يؤولونها، فنحن نطالبهم بضابط يميّز لنا بين ما يسوغ تأويله وبين ما لا يسوغ تأويله وهيهات لهم بجواب صحيح عن ذلك .

مثال على هذه الأمور الأربعة: نقول للأشعري الذي أوّل استواء الله على العرش : **أولاً** : أقم الدليل على أنّ الاستواء في لغة العرب وفي خطاب الشرع إذا عدي بحرف [على] يكون بمعنى الاستيلاء وأنى له ذلك ، **ثانيا** : أقم الدليل على أن المتكلم وهو الله لا يريد أن الاستواء بمعنى العلو والارتفاع وأنى له ذلك ، **ثالثاً** : أقم الدليل على إرادة المتكلم وهو الله أن الاستواء في آيات الصفات بمعنى الاستيلاء دون المعاني الأخرى وأنى له ذلك، **رابعاً** : أجب عن أدلة المعارضين ومنها ما هو ضابط الفرق بين ما يسوغ تأويله وبين ما لا يسوغ تأويله إلخ.

فهذه الأوجه الأربعة تدل على بطلان التأويل.

ثانيًا: أن منهج التأويل هو منهج أهل الباطل من النصارى واليهود وغيرهم ، وكل من أفسد الأديان إنّما أفسده بالتأويل، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بهم .

النتيجة : بطلان التأويل.

وأما الأمر الثالث: وهو بطلانه من جهة النتائج التي أخرج إليها التأويل، هذا يتضح من وجوه:

أولاً: أنهم عطّلوا اللفظ عن دلالته، لم يجعلوا للفظ دلالة.

ثانياً: تعطيل الله عن كماله.

ثالثاً: تعطيل الله عن وجوده ، وذلك إذا عُطِّل الله عن كماله وصفاته ، فلا وجود لذات بدون صفات .

النتيجة : هذه الأوجه الثلاثة تدل على بطلان التأويل.

وأما الأمر الرابع: وهو بطلانه من جهة المحاذير التي ترتبت عليه، يتضح ذلك من وجوه :

أولاً: فيه إساءة ظن بالله، لأنهم اعتقدوا أنّ كلامه يفيد التشبيه.

ثانيًا: اعتقدوا أنّ ظواهر كلام الله يفيد الكفر، لأنهم اعتقدوا أن النصوص تفيد التشبيه ، والتشبيه كفر، ولذا صرّح أحدهم بأن ظواهر نصوص الصفات تفيد الكفر، فهذه الجناية على النصوص بنيت على سوء الظن بالله.

ثالثاً : أنهم فتحوا باب التلاعب بالنصوص للرافضة والباطنية ، فالرافضة أبطلت فضائل وحقوق الصحابة رضي الله عنهم عن طريق التأويل ، وكذلك الباطنية قاموا بتأويل نصوص المعاد وتحريفها ، ولم يستطع أهل الكلام الرد عليهم لأنهم يقولون لهم كما أنكم سمحتم لأنفسكم تأويل نصوص الصفات التي هي أعظم شيء فلأن يدخل التأويل فيما هو دونها كالمعاد والبعث من باب أولى .

النتيجة : هذه الأوجه الثلاثة تدل على بطلان التأويل.

وأما الأمر الخامس: وهو باطل من جهة الأسباب التي دعت اليه، وتوضيح ذلك كما يأتي:

أن التأويل لا يدعو إليه إلا عدة أسباب: اثنان من المتكلم، واثنان من المخاطب:

– فأما السببان من المتكلم ، هما:

أولًا: أنه عاجز عن البيان، لذلك لم يوضّح مراده، فاحتجت أنت إلى توضيحه وتكميله وتأويله، وهذا لا يليق بالرب ، والله منزه عن ذلك.

ثانياً: أن يكون المتكلم سيء القصد ، فيتكلم بغير مراده ليوقع الناس في غير مراده، وهذا لا يليق بالرب.

أما السببان من المخاطب، فهما :

أولًا: سوء فهمه، أي: لم يفهم الكلام جيداً فذهب إلى تأويله.

ثانيًا: سوء قصده، يعني: فهم الكلام لكن قصده سيء فأراد أن يحمله لقصده السيء.

وعن هذه الأسباب نشأ التأويل ، فهي تدل على بطلان التأويل التي نشأ عنها التأويل، سببان يتعلقان بالمخاطب وسببان يتعلقان بالمتكلم، وكل ذلك منتف عن الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الكرام رضي الله عنهم .

النتيجة : هذه الأوجه الأربعة تدل على بطلان التأويل.

وأما الأمر السادس: وهو بطلانه من حيث الأسباب التي سوغته ونشرته بين الناس، ويتضح من وجوه:

أولًا: لحن القول بالباطل وتزويره، يخرجونه للناس بلفظ مموّه ملبّس بالحق، يقولون الله ليست له يد كأيدينا، ويقولون لو استوى على العرش لكان محتاجاً، فالشاهد أنهم يُخرجونه ويزورونه ويلبسونه لباس الحق تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ثانياً: يَنسُب هذا القول الباطل وهذا التأويل لأئمة متبوعين، فيقول: تأويل اليد بالقدرة ، والاستواء بالاستيلاء وقد قال به الإمام أحمد أو قال به ابن عباس، فينسبون التأويل إلى السلف حتى ينشرونه بين الناس.

ثالثًا: أنّهم يتّهمون أهل الحق بالتهم الباطلة: مشبهة، مجسمة، ممثلة.

النتيجة : هذه الأسباب الباطلة التي نشرت التأويل، وهي تدل على بطلان التأويل .

فالخلاصة والنتيجة النهائية التي نخرج إليها : أن التأويل باطل، من جهة أصل وضعه ، ومن جهة منهجه ، ومن جهة نتائجه، ومن جهة المحاذير التي ترتبت عليه، ومن جهة أسبابه التي دعت إليه، ومن جهة الأسباب التي سوّغته ونشرته .

انظر : [الصواعق المرسلة لابن القيم ومختصره للموصلي، التدمرية (٣١-٣٣) مجموع الفتاوى (١٩٤/٥) (٢٠٩/٥) وانظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٧٠) شرح حديث النزول (ص٧٠) (ص١٣٢)]

٤ – مقالة التفويض : وهي القول بأن صفات الله لا يعرف معناها فيفوضون معانيها إلى الله، مع نفي الظاهر المتبار منها إلى الذهن وهو إثبات الصفة لله.

وأتباع هذه المقالة من الطوائف :

- الكلابية
- الأشاعرة سواء المتقدمين منهم أو المتأخرين
- الماتريدية

انظر :[درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٤٩)]

الرد على هذه المقالة وأتباعها :

فقد ذكر العلماء بطلان التفويض من وجوه عديدة ، منها :

١ – قوله تعالى :﴿إِنَّا جَعَلنَٰهُ قُرءَٰنًا عَرَبِيّا لَّعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾، فبيّن أنه نزّله عربياً لأنْ يعقلوا، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه، فالله امتن على عباده بجعله عربياً ليعقلوه ويتفهموه، فيتحصل لهم بذلك النذارة والعلم والتقوى والذكر.

٢– أن الله جعل كتابه بيانا للناس، فقال: ﴿هَٰذَا بَيَان لِّلنَّاسِ﴾، ﴿قَد جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُور وَكِتَٰب مُّبِين﴾، ومن المعلوم أن الرسول ﷺ في غاية الفصاحة والبلاغة وحسن البيان، ولم يستثن الله شيئاً من كتابه لم يتحقق فيه وصف البيان .

٣– قوله تعالى: ﴿وَلَقَد يَسَّرنَا ٱلقُرءَانَ لِلذِّكرِ فَهَل مِن مُّدَّكِر﴾، فلو كان القرآن فيه ألفاظ غير مدركة المعنى بيسر وسهولة لما حصل به التذكّر والاتعاظ، فكيف بمن زعم بأن فيه ما لا يدرك معناه أصلاً، ولا سبيل إليه عقلاً وفهماً.

٤– قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلنَٰهُ إِلَيكَ مُبَٰرَك لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلبَٰبِ﴾وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلقُرءَانَ أَم عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقفَالُهَا﴾. فهذه النصوص تدل دلالة واضحة على خلاف ما ذهب اليه أهل التفويض، فقد جعل الله العلة لإنزال كتابه المبارك: تدبّره، والتذكر الحاصل من جرّاء ذلك لأصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، ولم يستثن الله شيئاً من كتابه يمتنع أن يكون محلاً للتدبّر، بل أطلق القول في ذلك دون تقيّد، ولم يقل أفلا يتدبّرون بعض القرآن بل قال أفلا يتدبّرون القرآن.

٥– إجماع السلف على أن نصوص الصفات معلومة المعنى، وعلى هذا جرى سلف هذه الأمة، فقد اعتنوا بكتاب الله وحفظوه وفهموه وتدبّروه، وروى أبو عبد الرحمن السلمي قال: حدّثنا الذين كانوا يقرأون القرآن عثمان بن عفّان، عبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي

ﷺ عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل.

٦- - **ومما يدل على بطلان التفويض عقلاً** : أن من المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً، ولم يميّز ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وما يجوز وما يمتنع عليه، ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علّم أمّته كل شيء، حتى الخراءة، قال: (لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك)، وقال: (ما بعث الله من نبيّ إلا كان حقاً عليه أن يدلّ عليه أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم على شر ما يعلمه لهم)، ومحال مع تعليمهم كل شيء له فيه منفعة في الدين، وإن دقّت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، فكيف يتوهم من كان في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام؟"، يعني: يمتنع عقلاً أنّ الرسول بيّن كل شيء، وبيّن حتى آداب قضاء الحاجة وبين هذه الأمور، ولم يبيّن ما يحتاجون إليه من غاية المعارف وأشرف المقاصد وهو العلم بالله تبارك وتعالى، كيف لا يكون هذا الباب مبيّناً؟ بل هو مبيّن غاية البيان والتمام.

٧- **ومن الأدلة على بطلان التفويض**: امتناع تأخير البيان عن وقت الحاجة، لأنه لمّا كان مذهب التفويض مؤسساً على أن المعنى الظاهر من النصوص غير مراد، وكان حال الناس يقتضي أن يفهموا ما دلت عليه من الألفاظ، لزم أن يَعقُب كل نص من نصوص الصفات المفوَّضة ما تؤمَن به هذه الفتنة، ويتق به هذا المحذور، حتى لا يقع في نفوس السامعين معنى لا يليق بالله، وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع، فحيث إن النصوص قد أطلقت ولم يعقبها ما يمنع صَحْبها على ظاهرها، فعلم عند ذلك بطلان دعوى المفوّضة .

[الشبهة التي قامت عليها مذاهب المخالفين في باب الأسماء الصفات]

من أصول ظلال الطوائف المنحرفة في باب الأسماء والصفات هو: ظنهم أن ظواهر نصوص الصفات تفيد التشبيه ، فالمشبهة أخذوا بهذا الظاهر الذي يزعمون فشبهوا صفات الله بصفات خلقه ، والمعطلة والمؤولة نفوا الصفات حتى لا يقعوا في زعمهم الباطل في التشبيه ، **قد رد على هذه الشبهة من وجوه ، منها :**

أولاً– من القرآن والسنة :

١ – أن الله جمع بين نفي التمثيل وإثبات الأسماء والصفات في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، فدل ذلك على أن نصوص الصفات لا تفيد التمثيل ، وإلا كانت النصوص متناقضة ، والوحي منزه عن التعارض ، قال تعالى :{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}وقوله :{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}.

٢– عن عائشة رضي الله عنها قالت: " الحمد لله الذي وسع سمعُه الأصوات، لقد جاءت خوْلةُ إلَى رسول الله ﷺ تشكو زوجها فكانَ يخفى عَليَّ كَلامُهَا فأنزل الله : {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} بيَّنتْ عائشة رضي الله عنها أن سمعَ اللهِ ليس كسمع الإنسان، فإنَّ الله قد سمع صوت المجادَلَةِ من فوق سبع سموات، ولم يَخْفَ عليه شيءٌ من حَدِيثِها، وأما سمعُ الإنسانِ فهو قاصِرٌ، فإنَّ عائشة رضي الله عنها في الحُجْرَةِ نفسِها وقد خَفِيَ عليها بعضُ حديثِ المجادلة، فهذا نص صريح في أن صفات الله ليست كصفات المخلوقين.

٣ – عن عبد الله بن أُنَيْس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامة أو قال العباد، عُرَاةً غُرْلا بهْما. قال: قلنا وما بهما؟ قال: ليس معهم شيءٌ، ثم يناديهم بِصَوتٍ يَسمَعُهُ مَن قَرُبَ كما يَسمعُهُ مَن بَعُدَ أنا الملك أنا الديان " فهذا دليل على أن صوت الله لا يشبه أصوات

المخلوقين؛ لأن صوت الله يسمعه مَن بَعُدَ كما يسمعه مَن قَرُبَ، بخلاف صوت المخلوقين وهكذا سائر الصفات هي من باب واحد.

ثانياً : من العقل :

١ – الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات ، فالاتفاق في اللفظ والمعنى الكُلِّيِّ بين اسمين أو وصفين لا يلزم منه المساوَاة في المسمَّيَات والموصوفات ، فمثلا : لفظ الوجود : فالله موجود ، والمخلوق موجود ، ووجود الله قديم واجب بنفسه، ووجود المخلوق محدَثٌ، يَقْبَلُ الوجود والعدم، فهذا موجود وهذا موجود، ولا يلزم من اتِّفَاقِهِما في مُسَمَّى الوُجُودِ أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود الله يخصه ووجود الإنسان يخصه، واتفَاقُهُما في اسمٍ عامٍّ . وهو لفْظُ الوُجُودِ . لا يَقْتَضِى تماثُلُهما في مُسَمَّى ذلك الاسم .

وإذا قارنا بين المخلوقات نجد اتفاقهم في الأسماء والصفات لا يوجب تماثل مسمياتهم ، فمثلاً : وجه الأسد ووجه النملة اتفقا في الاسم للوجه واختلفا في المسمى والحقيقة ، فوجه الأسد ليس كوجه النملة ، فإذا كان هذا التباين حاصل في المخلوقات فبين الخالق والمخلوق من باب أولى .

٢ – القول في الصفات كالقول في ذات الله من حيث الإثبات والنفي، فكما أنَّه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى التشبيه، فكذلك ليس في إثبات الصفات ما يفضي إلى التشبيه. فمن أثبت لله ذاتا لا تماثل ذوات المخلوقين لزمه أَنْ يثبت له صفات لا تماثل صفات المخلوقين، فكما أنَّ لله ذاتا حقيقة فكذلك له صفات حقيقة، وكما أنه لا يلزم من إثبات الذات تمثيلا فكذلك لا يلزم من إثبات الصفات تمثِيلا.

٣ – القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

فإن كان المخاطب ممن يقرّ بأن الله حي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة. ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته، فيجعل ذلك مجازا، ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات.

قيل له: لا فرق بين ما نفيتَه وبين ما أثبتَّه، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين، فكذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل، وإن قلت: له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به. قيل لك: وكذلك له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به.

وإن قال: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام.

قيل له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن قلت: هذه إرادة المخلوق. قيل لك: وهذا غضب المخلوق.

وكذلك يُلْزَم بالقول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته، إن نفى عن الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك ما هو من خصائص المخلوقين، فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات، وإن قال: إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه. قيل له: وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة.

فهذا المفرِّق بين بعض الصفات وبعض، يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته

انظر : [شرح حديث النزول (ص٧٣) وانظر الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٦٦-٥٤٣) ومجموع الفتاوى (٢ / ٣٥٠)(٤/٦-٧) (٤/ ٣٦٥ -٣٦٦) (٥/١٩٤ ، ٢٠٩) (١١/٤٨٠) وشرح حديث النزول (ص٧٠ ،٧٩-١١٢ ، ١٣٢) والتدمرية (ص: ١٦، ٣١- ٣٣) (ص٤٣) (ص٧٨) (ص١٨٤) وبيان تلبيس الجهمية (١/٣٧٠)،(٣/٥٠٥) (٤/٣٧٣) الاستقامة (١/١٠٢) الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/٤٣٠)، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين (١/١٠٥)]

المسألة السادسة

دراسة بعض صفات الله التي وردت في النصوص الشرعية

سندرس تحت هذا المبحث صفات الله عز وجل، وفي كل صفة سأبين ما قول أهل السنة فيها مع أدلتهم ، وهل هي صفة ذاتية أو فعلية ، وما قول المخالفين مع الرد عليهم :

أولاً : صفة الحياة : صفة الحياة من الصفات الذاتية الثابتة لله عز وجل خبراً وعقلاً.

قول أهل السنة في صفة الحياة : أهل السنة يثبتون صفة الحياة لله ويقولون أنها صفة ذاتية لا تنفك عن ذات الله، وحياته سبحانه تعالى كاملة لم يسبقها عدم ولا يلحقها موت ولا يعتريها نقص.

أدلة الصفة : وقد دل على هذه الصفة الكتاب والسنة :

أما الكتاب : قوله تعالى: {اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [آل عمران: ٢] وقوله: [وتوكل على الحي الذي لا يموت].

وأما السنة: حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ((اللهم لك أسلمت، وبك آمنت ... أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون)) . رواه مسلم

قول المخالفين في صفة الحياة :

- الجهمية والمعتزلة : نفوا اتصاف الله عز وجل بصفة الحياة ،

شبهتهم : إثبات هذه الصفة يستلزم التشبيه؛ لأنه لا يوجد شيء متصف بهذه الصفة إلا جسم، والأجسام متماثلة والله منزه عن ذلك ؟

الرد عليهم :

١- أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات إجمالاً وتفصيلاً مع نفي المماثلة فقال تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} [النحل: ٦٠] . وقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١] . وهذا

يدل على أن إثبات الصفات لا يستلزم التمثيل، ولو كان يستلزم التمثيل لكان كلام الله متناقضاً وكلام الله منزه عن ذلك.

٢- مخالفتهم لإجماع السلف ؛ فإن السلف كفروا من شبه الله بخلقه ، يقول نعيم بن حماد : "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها"

٣- فإن الرسول ﷺ قال: (لن تروا ربكم حتى تموتوا)، والشيء الغيبي لا تدرك حقيقته إلا برؤيته أو بمشاهدة نظيره أو بخبر صادق، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل وتمثيلها، فوجب بطلان تكييفها وتمثيلها . فكيف عرفت أنّ حياة الله مثل حياة فلان؟ وأنت لم تر الله؟! ، ولم تر نظيره؟!، ولم يخبرك الصادق المصدوق بذلك؟!، فهذا يدل على بطلان التكييف والتمثيل ؛ لأن الحقيقة والكيفية لا تدرك إلا بواحدة من الأمور الثلاثة .

٤- القول في الصفات كالقول في ذات الله من حيث الإثبات والنفي، فكما أنَّه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى التشبيه، فكذلك ليس في حياة الله ما يفضي إلى التشبيه. فمن أثبت لله ذاتا لا تماثل ذوات المخلوقين لزمه أَنْ يثبت له صفات لا تماثل صفات المخلوقين، فكما أنَّ لله ذاتا حقيقة فكذلك له صفات حقيقة، وكما أنه لا يلزم من إثبات الذات تمثيلا فكذلك لا يلزم من إثبات الصفات تمثِيلا.

٥- الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات ، فالاتفاق في اللفظ والمعنى الكُلِّيِّ بين اسمين أو وصفين لا يلزم منه المساواة في المسمَّيَات والموصوفات ، فمثلا : لفظ الحياة : فالله حي ، والمخلوق حي ، وحياة الله غير مسبوقة بعدم فهو واجب الوجود ولا يلحقها فناء، وحياة المخلوق مسبوقة بعدم وستفنى، فهذا حي وهذا حي، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الحياة أن يكون حياة هذا مثل حياة هذا، بل حياة الله تخصه وحياة الإنسان تخصه، واتفَاقُهُما في اسمٍ عامٍّ . وهو لفْظُ الحياة . لا يَقْتَضِى تماثُلُهما في مُسَمَّى ذلك الاسم .

أثر الإيمان بصفة الحياة:

١-أن من عرف أن الله تعالى حي ، توكل عليه حق التوكل ،يقول الله عز وجل: { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ } [الفرقان: ٥٨]

٢ - محبة الله - عز وجل - وإجلاله وتوحيده ، فمتى علم العبد بربه سبحانه وبأن له الحياة الكاملة المطلقة والتي تتضمن جميع صفات الكمال ، توجب على العبد محبة ربه سبحانه وإجلاله وتوحيده .

انظر : [مجموع الفتاوى (٣ / ٤٦ – ٤٧)،(٦ / ٣٥٥) ، درء التعارض (١٠ / ٣٠٨ - ٣٠٩)]

ثانياً: صفة اليدين : من الصفات الذاتية الثابتة لله عز وجل خبراً فقط.

قول أهل السنة في صفة اليدين : أهل السنة يثبتون صفة اليدين لله ويقولون أنها ذاتية خبرية – أي أنها ثبتت بالخبر فقط دون العقل - ، وهما يدان حقيقيتان تليقان بجلال الله تعالى، ولا تماثلان أيدي المخلوقين.

أدلة الصفة : وقد دل على هذه الصفة الكتاب والسنة والإجماع :

- **أما الكتاب**: قوله تعالى : {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] .

- **أما السنة**: عن أبي موسى الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يأخذ الجبار سمواته وأرضيه بيديه -وقبض كفيه أو قال: يديه - جعل يقبضها ويبسطها ثم يقول: أنا الجبار، أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ويميل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن يمينه وعن شماله حتى نظرت إلى المنبر من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم"؟ .

وحديث الشفاعة، وفيه: ((.. فيأتونه فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر؛ خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه ...)) رواه البخاري ومسلم

– **أما الإجماع** : وقد أجمع أهل السنة على أنهما يدان حقيقيتان لا تُشبهان أيدي المخلوقين

قول المخالفين في صفة اليدين :

أ– المشبهة : يقولون أن يدي الله كيد المخلوق

الرد عليهم : الرد بالتفصيل يراجع فيه الرد على مقالة التشبيه وبيان بطلانها، ومن ثم تطبيقها على آحاد الصفات التي يزعم المشبهة أنها تشبه صفات المخلوقين ، وسأقتصر هنا في الرد على المشبهة على بعض الردود التي ذكرت سابقاً :

١– أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات إجمالاً وتفصيلاً مع نفي المماثلة فقال تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} [النحل: ٦٠] . وقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١] . وهذا يدل على أن إثبات الصفات لا يستلزم التمثيل، ولو كان يستلزم التمثيل لكان كلام الله متناقضاً وكلام الله منزه عن ذلك.

٢– مخالفتهم لإجماع السلف ؛ فإن السلف كفروا من شبه الله بخلقه ، يقول نعيم بن حماد : "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها"

٣– فإن الرسول ﷺ قال: (لن تروا ربكم حتى تموتوا)، والشيء الغيبي لا تدرك حقيقته إلا برؤيته أو بمشاهدة نظيره أو بخبر صادق، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل وتمثيلها، فوجب بطلان تكييفها وتمثيلها . فكيف عرفت أنّ حياة الله مثل حياة فلان؟ وأنت لم تر الله؟! ، ولم تر نظيره؟!، ولم يخبرك الصادق المصدوق بذلك؟!، فهذا يدل على بطلان التكييف والتمثيل ؛ لأن الحقيقة والكيفية لا تدرك إلا بواحدة من الأمور الثلاثة .

٤- القول في الصفات كالقول في ذات الله من حيث الإثبات والنفي، فكما أنَّه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى التشبيه، فكذلك ليس في يد الله ما يفضي إلى التشبيه. فمن أثبت لله ذاتا لا تماثل ذوات المخلوقين لزمه أَنْ يثبت له صفات لا تماثل صفات المخلوقين، فكما أنَّ لله ذاتا حقيقة فكذلك له صفات حقيقة، وكما أنه لا يلزم من إثبات الذات تمثيلا فكذلك لا يلزم من إثبات الصفات تمثِيلا.

٥ - الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات ، فالاتفاق في اللفظ والمعنى الكُلِّيِّ بين اسمين أو وصفين لا يلزم منه المساواة في المسمَّيَات والموصوفات ، فمثلا : لفظ اليد : فإن لله يدين وللمخلوق يدين ، ، ويد الله عظيمة تليق به فهو سبحانه يقبض الأرض ويطوي السماوات بيمينه، ويد المخلوق تليق بضعفه، فالله له يد والمخلوق له يد، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى اليد أن تكون يد الله هذا مثل يد المخلوق، بل يد الله تخصه ويد الإنسان تخصه، واتفَاقُهُما في اسمٍ عامٍّ . وهو لفْظُ اليد . لا يَقْتَضِى تماثُلُهما في مُسَمَّى ذلك الاسم .

وإذا قارنا بين المخلوقات نجد اتفاقهم في الأسماء والصفات لا يوجب تماثل مسمياتهم ، فمثلاً : يد الأسد ويد النملة اتفقا في الاسم لليد واختلفا في المسمى والحقيقة ، فيد الأسد ليس كيد النملة ، فإذا كان هذا التباين حاصل في المخلوقات فبين الخالق والمخلوق من باب أولى .

ب- الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية : فقد عطلوا الله عن صفة اليدين الحقيقتين لله ، أولوا صفة اليدين الواردة في النصوص بالقدرة والنعمة والقوة ونحو ذلك .

الرد عليهم : لا يصحّ تشبيه يد الله بيد المخلوق ولا يصح تأويل صفة اليدين إلى القوة، أو النعمة أو نحو ذلك لوجوه منها:

١- أن الأصل في الكلام عند العرب أن يحمل على ظاهره ، ولا يجوزه صرفه إلا بدليل ، ولا دليل هنا.

٢– أنه مصادم للنصوص الشرعية الأخرى التي تفيد بأن المراد بهذه الآية إثبات اليدين لله عز وجل كقزله تعالى : " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه" وما جاء في النصوص من إثبات الكف والأصابع والقبض والهزّ، كقوله صلّى الله عليه وسلّم: "يقبض الله سماواته بيده، والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك" كل ذلك يدل على أن المراد بالآية إثبات اليدين لله عزوجل، وتفسير القرآن بالقرآن أو السنة أولى من تفاسير أهل الظلال كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

٣ – أن هذا التفسير مخالف لما ثبت عن السلف رضي الله عنهم ، منها قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : "خلق الله أربعة أشياء بيده:– العرش، والقلم، وعدن، وآدم ثم قال لسائر الخلق : كن فكان" أفلا ترون أيه الجهمية والمعتزلة والأشاعرة كيف ميز ابن عمر وفرق بين آدم وسائر الخلق في خلقه اليد ؟! أفأنتم أعلم من ابن عمر بتأويل القرآن وقد شهد التنزيل وعاين التأويل، وكان بلغات العرب غير جهول. وكذلك جاء عن كعب الأحبار . وجاء عن عكرمة قال: قوله {بل يداه مبسوطتان} قال: يعني اليدين. وعن نافع بن عمر الجمحي قال: سألت ابن أبي مليكة ، عن يد الله أواحدة أو اثنتان قال: بل اثنتان . وعن عاصم الجحدري أنه قال في قول الله تعالى: {ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي}بيديه. فمن يلتفت بعد هذا إلى تأويل أهل الظلال، ويدع تأويل هؤلاء الأئمة ؟

٤– هذا التأويل باطل لمخالفته السياق وتركيب الكلام ، فإن الله أضاف الفعل إلى نفسه ثم عدى الفعل إلى اليدين بالباء وهذا الأسلوب العربي يراد به إثبات اليدين الحقيقيتين ، فالعربي إذا قال كتبت بيدي أو ضربت بيدي فالمراد إثبات اليدين له ،لا يراد باليدين النعمة أو القوة ، وأيضاً السياق جاء فيه ذكر اليدين بلفظ التثنية ، فهذا التركيب لا يحتمل إلا اليد الحقيقية ولا يجوز أن يحمل على النعمة ولا القوة ولا القدرة إذا أن القدرة والقوة لا تثنى بإجماع المسلمين فلا يقال قدرتاه ولا قوتاه ، وأما النعمة فلا تثنى؛ لأن نعم الله لا تحصى ، فلم يبق إلا إثبات اليدين لله عز وجل

وأيضاً السياق جاء في بيان مزية ومنقبة آدم على إبليس وذلك أن الله خلقه بيده دون سائر الخلق فلو قلنا أن المراد باليد النعمة أو القوة فما مزية آدم على إبليس في الآية ؟! ولقال إبليس حينما قال له ربه {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} أنا خلقتني كذلك بقوتك فما فضل آدم علي ؟!

فهذا السياق القرآني وتراكيبه اللغوية وأساليبه العربية تقطع بأن المراد إثبات اليدين لله عز وجل تليقان به.

أثر الإيمان بصفة اليدين :

١- أن الإقرار بأن لله يدين حقيقتين تليق بجلاله وعظمته ، تصديق لخبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك من أعظم صفات أهل الإيمان.

٢- أن الإيمان بأن لله يدين حقيقتين تليق بجلاله وعظمته ، يورث القلب المهابة لله، والخوف منه وتعظيم أمره وشأنه، وأنه الملك الذي قهر الملوك، وأنه لا مفر من قبضته، ولا ملجأ منه إلا إليه.

انظر : [مجموع الفتاوى (٣ / ٤٦ – ٤٧) (٤ / ١٧٤) (٥ / ٩٠) ، (٦ / ٣٥٥ ، ٣٦٥ – ٣٧٢) ، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٦٠ – ٢٦٤) (٣ / ٣٤٤ – ٣٤٥) (٦ / ٢٣٠ – ٢٣٢)، درء التعارض (١٠ / ٣٠٨ - ٣٠٩)]

ثالثاً: صفة العلو : من الصفات الذاتية الثابتة لله عز وجل خبراً وعقلاً وفطرة إلخ

والعلو ثلاثة أقسام : ١ – علو الذات، ٢ – علو القهر، ٣ – علو القدر

قول أهل السنة في صفة العلو : أهل السنة يثبتون صفة العلو لله بأقسامه الثلاثة، وكلها ثابتة لله عز وجل ، فله سبحانه العلو المطلق على خلقه من جميع الوجوه، ذاتًا، وقدراً ، وقهراً

أدلة الصفة : دل على صفة العلو الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة

فأما الكتاب : فقد تنوعت دلالة الآيات على علو الله ، وقد أوصلها ابن القيم إلى عشرين نوعاً في النونية واجتماع الجيوش الإسلامية ، سأذكر منها ما يلي:

- الآيات التي جاء فيها ذكر العلو كقوله:{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥] ، {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى} [الأعلى: ١].

- الآيات التي جاء فيها ذكر الفوقية كقوله: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} [الأنعام: ١٨]، {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [النحل:٥٠].

- الآيات التي جاء فيها ذكر صعود الأشياء إليه كقوله: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠] ، ومثل قوله: {تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} [المعارج: ٤].

- الآيات التي جاء فيها ذكر نزول الأشياء من عنده كقوله: {يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ} [السجدة: ٥] ، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ} [الحجر: ٩]

وأما السنة:

١-روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر من في السماء صباحاً ومساء "

٢ . وروى معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجاريته: " أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: اعتقها فإنها مؤمنة ". رواه مسلم

٣-وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب بنت جحش [تفخر] على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: " زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات " رواه البخاري.

وأما الإجماع:

فقد أجمع الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وأئمة أهل السنة على أن الله تعالى فوق سماواته على عرشه، وكلامهم مملوء بذلك نصًّا وظاهراً. قال الأوزاعي: "كنّا والتابعون متوافرون. نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات"

وأما العقل:

لا شك أن الله عز وجل إما أن يكون في العلو أو في السفل، وكونه في السفل مستحيل؛ لأنه نقص يستلزم أن يكون فوقه شيء من مخلوقاته فلا يكون له العلو التام والسيطرة التامة والسلطان التام فإذا كان السفل مستحيلاً؛ كان العلو واجباً.

وأما الفطرة:

فإن الله تعالى فطر الخلق كلهم: العرب، والعجم حتى البهائم على الإيمان به وبعلوّه، فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو، وارتفاع قلبه إلى السماء لا يلتفت إلى غيره يميناً، ولا شمالاً، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين والأهواء.

وكان أبو المعالي الجويني يقول في مجلسه : "كان الله ولا شيء وهو الآن على ما كان عليه"؛ (يُعرّض بإنكار استواء الله على عرشه) ، فقال أبو جعفر الهمداني: "دعنا من ذكر العرش – أيْ: لأنه ثبت بالسمع – وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، ما قال عارف قطّ: يا الله! إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، لا يلتفت يمنة، ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة من قلوبنا؟ ".فصرخ أبو المعالي ولطم رأسه، وقال: "حيرني الهمداني، حيرني الهمداني".

قول المخالفين في صفة العلو:

– المعطلة من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة ، والماتريدية وغيرهم :

كل هؤلاء نفوا علو الله وارتفاعه فوق خلقه، ولم يثبتوا إلا علو القهر والقدر أما علو الذات فنفوه عن الله ، وكل ذلك تحت دعوى التوحيد والتنزيه ونفي التشبيه، فهم يزعمون أن إثبات العلو لله تعالى فيه إثبات للجهة، والحد، والجسم، وهذه الأمور على زعمهم تستلزم الجسمية، والأجسام حادثة، والله منزه عن الحوادث فمن أجل ذلك نفوا العلو، وأولوا النصوص الثابتة فيه بأن المراد بها علو القهر والغلبة.

الرد عليهم :

١-أن العلو بأنواعه الثلاثة ثابت بالأدلة المتواترة ، وبالفطرة ، والعقل ، والإجماع

٢- أنه مخالف لإجماع السلف في إثبات علو الله بأقسامه الثلاثة .

٣ - فإن لم يكن الله في العلو فأين يكون ؟ إما أن تقولوا في كل مكان فيكون في المزابل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فوقعتم فيما هو أشد مما فررتم منه ، وإما أن تقولوا ليس في مكان فلا هو داخل العالم ولا خارجها ، فهذا هو وصف المعدوم ، فلم يبق إلا القول بأن الله بذاته في العلو .

وأما الجواب عن زعمهم أن إثبات العلو لله تعالى فيه إثبات للجهة .. نقول:

ماذا تقصدون بالحد والجسم والجهة ؟

أما الحد إن كنتم تريدون بالحد أن شيئاً من المخلوقات يحيط بالله؟ فهذا باطل ومنتف عن الله، وليس بلازم من إثبات العلو لله أو تريدون بالحد أن الله بائن من خلقه غير حال فيهم، فهذا حق من حيث المعنى، ولكن لا نطلق لفظه نفياً ولا إثباتاً، لعدم ورود ذلك.

وأما الجسم، فنقول: ماذا تريدون بالجسم؟ أتريدون أنه جسم مركب من عظم ولحم وجلد ونحو ذلك؟ فهذا باطل ومنتف عن الله، لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. أم تريدون بالجسم ما هو قائم بنفسه متصف بما يليق به يشار إليه؟ فهذا حق من حيث المعنى، لكن لا نطلق لفظه نفياً ولا إثباتاً، لما سبق.

وكذلك نقول في الجهة، هل تريدون أن الله تعالي له جهة تحيط به؟ فهذا باطل، وليس بلازم من إثبات علوه، أم تريدون أنه في جهة علو وأنه على السماء ولا يحيط به شيء فهذا حق لا يصح نفيه عن الله تعالى.

أثر الإيمان بصفة العلو:

١-أن الإنسان إذا علم بأن الله تعالى مستو على عرشه وأنه فوق كل شيء، فإنه يعرف مقدار سلطانه وسيطرته على خلقه، وحينئذ يخافه ويعظمه، وإذا خاف الإنسان ربه وعظمه، فإنه يتقيه فيؤدي ما أوجب الله عليه ، ويدع ما حرم عليه .

٢-إذا آمن العبد بعلو الله المطلق ذاتا وقدرا وقهرا ، وفوقيته على سائر بريته ، وقهره لهم جميعا ، اتجه إليه بقلب خاشع ، وجعله له صمدا ، يعرج قلبه إليه مناجيا له مطرقا ، واقفا بين يديه في السؤال والرهبة والذل والمحبة.

انظر : [مجموع الفتاوى (٦ / ٣٥٥) (١١ / ٢٥٠) ، درء التعارض (١ / ٢٥٣ – ٢٥٤) (٦ / ١٤٣) (٧ / ١٥) (٦ / ١٤٨ – ١٦١ ، ١٧٦ – ١٧٧ ، ٢١٤، ٢٤٢ – ٢٤٣)(١٠ / ٣٠٨ - ٣٠٩) ، منهاج السنة (٢ / ٥٥٨)، بيان تلبيس الجهمية (١ /٨٨، ٩٤ – ٩٥ ، ١٥٨ – ١٥٩) (٣ / ٢٦٢ ، ٦٥٣ – ٦٥٤) (٥ / ٣٠٤ – ٣٠٧ ، ٣١٤)]

رابعاً : صفة الاستواء : من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل خبراً فقط.

قول أهل السنة : : أهل السنة يثبتون صفة الاستواء لله تعالى وأن استواء الله على عرشه بمعنى: علوه وارتفاعه عليه بذاته .

أدلة الصفة : هذه الصفة دل عليها الكتاب، والسنة، والإجماع

أما الكتاب: قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] .

وأما السنة: ما رواه الخلال في كتاب "السنة" بإسناد صحيح على شرط البخاري عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يقول: "لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه" .

وأما الإجماع :قد أجمع أهل السنة على أن الله تعالى فوق عرشه، ولم يقل أحد منهم إنه ليس على العرش، ولا يمكن لأحدٍ أن ينقل عنهم ذلك لا نصًّا ولا ظاهراً.

وقال رجل للإمام مالك – رحمه الله –: يا أبا عبد الله!: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ} [طه] . كيف استوى؟! فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) . ثم قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً" ثم أُمر به أن يخرج.

قول المخالفين في صفة الاستواء : الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، حيث فسروا استوى الله على عرشه الوارد في النصوص بالقهر والغلبة والاستيلاء ، وقد استدل هؤلاء المعطلة على صحة زعمهم هذا بأن تأويل الاستواء بالاستيلاء أمر مشهور في لغة العرب من ذلك:

قول الشاعر: قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق

الرد عليهم :

١ : تفسيركم هذا مصادم للنصوص الصريحة التي تدل على أن الاستواء إذا عدي بحرف [على] فالمراد به : العلو والارتفاع كقوله تعالى {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} [الزخرف ١٣] ، وقوله {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} [هود ٤٤] ، وقوله {فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ} [الفتح ٢٩] فالاستواء في هذه الآيات بمعنى العلو والارتفاع.

٢ – جاء في السنة ما يبين معنى الاستواء على العرش وذلك في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: "ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام والعرش على الماء والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه".

٣ – تفسيركم هذا مصادم لتفسير السلف ، فقد جاء عن أبي العالية قوله: استوى إلى السماء: أي : ارتفع، وعن مجاهد قال: استوى: أي : علا على العرش . وأول من ابتدع تفسير الاستواء بالاستيلاء الجعد بن درهم والجهم بن صفوان . ولو كان أحد من السلف يرى أن الاستواء بمعنى الاستيلاء، لنقل إلينا، فما منهم أحد قال: إن (استوى) بمعنى (استولى) أبداً.

٤ – أن هذا مخالف للغة العرب فإن الاستواء في اللغة يأتي مطلقا ، ومقيدا.

فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} [القصص ١٤] ، وهذا معناه: كمل وتم، ويقال: استوى النبات، واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد "بإلى" كقوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} ، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المعدى بإلى في موضعين من كتابه، الأول في سورة البقرة في قوله {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} [البقرة ٢٩] ، والثاني في سورة فصلت {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} [فصلت ١١] ، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: المقيد "بعلى" كقوله تعالى {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} [الزخرف ١٣] ، وقوله {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} [هود ٤٤] ، وقوله {فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ} [الفتح ٢٩] ، وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون "بواو مع" التي تعدى الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة، بمعنى ساواها هذه معاني الاستواء في اللغة

فقوله تعالى : [الرحمن على العرش استوى] بمعنى علا وارتفع بإجماع أهل اللغة.

٥- : يلزم على قولكم الفاسد أن يكون الله عز وجل حين خلق السماوات والأرض ليس مستولياً على عرشه، لأن الله يقول: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤]، و {ثُمَّ} تفيد الترتيب، فيلزم أن يكون العرش قبل تمام خلق السماوات والأرض لغير الله.

٦ – يلزم على قولكم أن الله استولى على العرش بعد أن لم يكن مستوليا عليه فهناك من يغالب الله على عرشه على قولكم ،وهذا قول باطل ، لأن الله لا مغالب له ، وهو غالب على أمره.

٧- إن ما يستند إليه هؤلاء المعطلة في زعمهم هذا من قولهم أن تفسير استوى باستولى أمر مشهور في اللغة، هو قول باطل مردود لأنه لم يثبت عند أحد من أهل اللغة أن لفظة استوى يصح استعمالها بمعنى استولى بل إن هذا القول منكر عند اللغويين ،فهذا ابن الأعرابي أحد علماء اللغة أتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عز وجل {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ؟ فقال: "هو كما أخبر عز وجل"، فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه، إنما معناه استولى، قال: "اسكت ما أنت وهذا، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاداً فإذا غلب أحدهما قيل استولى

وقد سئل الخليل بن أحمد: هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: (هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها) .

٨- وأما ما استدل به هؤلاء من أبيات، كقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق

– فهذا البيت لا يعرف له قائل ، وإن قيل هو الأخطل النصراني فهو منسوب إليه زوراً لفم يثبت عنه فهو غير موجود في ديوان الأخطل النصراني ولهذا أنكره غير واحد من أئمة اللغة.

قال ابن فارس: "هذان البيتان لا يعرف قائلهما"

ومعلوم أنه لو احتج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده وقد طعن فيه أئمة اللغة .

– لو سلمنا بصحته فإن الاستواء في البيت بمعنى علا وارتفع واستقر على سرير الملك ؛ لأن بشراً نائب لعبدالملك بن مروان على العراق ، ولم يكن مستولياً على العراق، وإنما الذي استولى عليها هو عبدالملك بن مروان ولم يكن بشر منازعا لأخيه مُلْكَه.

- قيل أن البيت محرف والصحيح أنه هكذا :

قد استولى بشر على العراق ....

- لو قلنا بصحته فلا عبرة إذ أن تفسير القرآن بالقرآن والسنة والصحابة أولى من تفسير القرآن بلغة العرب فضلاً عن نصراني خالف الشرع واللغة في تفسيره هذا .

أثر الإيمان بصفة الاستواء:

١-أن الإنسان إذا علم بأن الله تعالى مستو على عرشه وأنه فوق كل شيء، فإنه يعرف مقدار سلطانه وسيطرته على خلقه، وحينئذ يخافه ويعظمه، وإذا خاف الإنسان ربه وعظمه، فإنه يتقيه فيؤدي ما أوجب الله عليه ، ويدع ما حرم عليه .

٢-إذا آمن العبد بعلو الله المطلق ذاتا وقدرا وقهرا ، وفوقيته على سائر بريته ، وقهره لهم جميعا ، اتجه إليه بقلب خاشع ، وجعله له صمدا ، يعرج قلبه إليه مناجيا له مطرقا ، واقفا بين يديه في السؤال والرهبة والذل والمحبة.

انظر : [مجموع الفتاوى (٤ / ٤) (٥ / ١٤٤ - ١٤٩) (١٦ / ٣٩٦ – ٣٩٧ ، ٤٠٤)، (١٧ / ٣٧٥ - ٣٧٦) ، بيان تلبيس الجهمية (٤ / ٢٨٩ ، ٤٩٤) ، التسعينية (٢ / ٥٤٥)]

خامساً : صفة النزول : من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل خبراً فقط.

قول أهل السنة : : أهل السنة يثبتون صفة النزول لله تعالى ، وأنه نزوله إلى السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته، وهو نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته.

أدلة الصفة : هذه الصفة ثبتت بالسنة الصحيحة :

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "ينزل ربّنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له" .

وقد روى هذا الحديث عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، نحو ثمانٍ وعشرين نفساً من الصحابة رضي الله عنهم، واتفق أهل السنة على تلقي ذلك بالقبول.

قول المخالفين في صفة النزول :

– المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم :

قالوا بتأويل صفة النزول ، وأن المراد بنزول الله أي نزول أمره أو نزول رحمته أو نزول ملائكته .

الرد عليهم :

١ – أن هذا التأويل مخالف لما جاء في النصوص الأخرى المفسرة للنزول كما جاء عن الأغر أبي مسلم، قال: أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل هبط فقال: من تائب فيتاب عليه؟ من داع فيستجاب له؟ من مستغفر؟ من مذنب؟ من سائل فيعطى؟ "وعن رفاعة الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا مضى ثلث الليل، أو شطر الليل، أو ثلثا الليل، يتنزل الله إلى سماء الدنيا، فيقول: لا أسأل عن عبادي [ص:٧٦] أحدا غيري، من يستغفرني أغفر له؟ من يدعوني أستجيب له؟ ومن يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الصبح "

٢– أنه خلاف ظاهر الحديث؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم، أضاف النزول إلى الله، والأصل أن الشيء إنّما يُضاف إلى من وقع منه أو قام به، فإذا صرف إلى غيره كان ذلك تحريفاً يُخالف الأصل.

٣ – أن قولهم هذا مخالفٌ لصريح النص في قوله تعالى: (من يدعوني) إذ إن الملك لا يمكن أن يقول للخلق من يدعوني فأستجيب له، لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله، ولو أن أحداً قاله من الخلق لقلنا

إنه نزل نفسه منزلة الخالق، والملائكة منزهون عن هذا، فالملائكة يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون، ويتبرؤون ممن يدعون غير الله.

٤- أن تفسيره بذلك يقتضي أن يكون في الكلام شيء محذوف، والأصل عدم الحذف.

٥ - أن نزول أمره أو رحمته لا يختص بهذا الجزء من الليل، بل أمره ورحمته ينزلان كل وقت.

فإن قيل: المراد نزول أمر خاصّ، ورحمة خاصة، وهذا لا يلزم أن يكون كل وقت.

فالجواب: أنه لو فرض صحة هذا التقدير والتأويل، فإن الحديث يدل على أن منتهى نزول هذا الشيء هو السماء الدنيا، وأي فائدة لنا في نزول رحمة إلى السماء الدنيا حتى يخبرنا النبي صلّى الله عليه وسلّم عنها؟!

أثر الإيمان بصفة النزول :

١-الإيمان بهذه الصفة يورث في القلب تعظيم الرب ومحبته ، لتفضله على عباده بالنزول كل ليلة إلى السماء الدنيا ،ومناداته لهم بقوله:مَنْ يَدْعوني فَأستجيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُني فَأعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأغْفِرَ لَهُ"

٢-الحرص على استغلال الوقت الذي ينزل فيه الرب جل جلاله ، بسؤاله ودعائه واستغفاره

انظر : [مجموع الفتاوى (٥ / ٢٤٣) (٦ / ١٤ ،١٦٤) ، شرح حديث النزول ص (١٤٢- ١٤٩، ١٣٨- ١٣٩ ، ٢٣٣ – ٢٣٥ ، ٤٥٨) ، بيان تلبيس الجهمية (٨ / ١٨ – ٢٨) ، جامع المسائل (٣ / ١٧٤) ، درء التعارض (٥ / ١٦٣) (٦ / ٢٥٠) ، الفتوى الحموية (٣٧٠ – ٣٧٣)، اجتماع الجيوش الإسلامية ص (٢٤٠، ٣٧٤) ، مختصر العلو ص (١٧٦ ،٢٢٣، ٢٦٦)]

سادساً: صفة الغضب : من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل خبراً فقط.

قول أهل السنة : أهل السنة يثبتون صفة الغضب لله تعالى ، وأنه يغضب غضباً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته.

أدلة الصفة : هذه الصفة ثابتٌة بالكتاب والسنة

فأما الكتاب: قوله تعالى: {وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ } (النور: ٩)

وأما السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما خلق الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي" متفق عليه

قول المخالفين في صفة الغضب :

- الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية :

قالوا بتأويل الغضب لله وأن المراد به : إرادة الانتقام ،وعللوا لما ذهبوا إليه بقولهم: إن أصل الغضب غليان دم القلب عند إرادة الانتقام، وذلك مستحيل على الله تعالى، أو بعبارة أخرى: إن حقيقة الغضب الانفعال والتغير من حال إلى حال، وهو أمر لا يليق بالله، إلى آخر تلك التعليلات والأعذار غير المقبولة .

الرد عليهم :

١- لا يصح تفسير الغضب بإرادة الانتقام ، لأن الغضب شيء ، والإرادة شيء آخر ، فقد يغضب الإنسان ولا يريد الانتقام كما لو غضب الأب على ابنه فلا يقال أراد الانتقام منه .
٢- القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر .

قولكم أن الغضب غليان دم القلب وذلك لا يليق بالله تعالى.

نقول لكم : كذلك الإرادة والمشيئة هي: ميل النفس إلى مَا يَجْلِبُ لها منفعة أو يدفع عنها مضرة، وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَا يُرِيدُهُ وَمُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ.

فإن قلتم هذه إرادة المخلوق

قلنا لكم : وذلك غضب المخلوق وليس غضب الخالق .

فإن قالوا: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد، وإن كان كلٌّ منها حقيقة.

قيل له: فقل: إن الغضب والرضا الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد، وإن كان كلٌّ منها حقيقة.

فلوازم صفات المخلوقين التي ذكروها لا تلزم صفات الخالق، إذ لا مناسبة بين صفات الخالق وصفات المخلوق حتى تقاس صفاته سبحانه على صفاتهم.

أثر الإيمان بصفة الغضب :

١- الخوف من فعل الأعمال التي تستوجب غضب الله وسخطه
٢- الحرص على فعل الأعمال التي توصل إلى ما محبته ورضاه

انظر : [مجموع الفتاوى(٣ / ٤٦ – ٤٧) ،(٦ /٤٤ – ٤٦، ٣٥٥) ، (١٧ / ١٥٨)، منهاج السنة (٥ / ٤١١ – ٤١٣)، درء التعارض (١٠ / ٣٠٨ – ٣٠٩)،شرح الأصفهانية ص (٣٥ – ٤١)، شرح حديث النزول (١١١ – ١١٥)،التدمرية ص (٣١ – ٣٥) شرح الطحاوية (١٠١)]

سابعاً: صفة الكلام : الكلام من الصفات الذاتية الفعلية الثابتة لله خبراً وعقلاً

قول أهل السنة : أهل السنة يثبتون صفة الكلام لله ويقولون أنها صفة ذاتية باعتبار النوع وصفة فعلية باعتبار أفراد وآحاد الكلام فهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء وأن كلامه بحرف وصوت مسموع.

أدلة الصفة : دل على صفة الكلام الكتاب والسنة وإجماع السلف

فأما الكتاب : قوله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤] (النساء: ١٦٤) ، {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} [الأعراف: ١٤٣] (الأعراف: ١٤٣) .

وأما السنة : قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي" أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبي حاتم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده»

عن عبد الله بن أنَسٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

"يَحْشُرُ الله العبادَ -أو الناسَ- عُراةً غُرْلًا بُهْمًا"قلنا: ما بُهْماً؟ قال:"ليسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، فَيُناديهم بصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ -أحسَبُه قالَ: كما يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ-: أنا المَلِكُ، أنا الدَّيَّانُ ... "

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من قرأ حرفاً من كتاب الله عز وجل فله عشر حسنات ". قال الترمذي: هذا حديث صحيح. ورواه غيره من الأئمة وفيه: " أما أني لا أقول {الم} حرف، ولكن [ألف] ١ حرف ولام حرف وميم حرف"

وأما الإجماع : فقد أجمع السلف على ثبوت الكلام لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو كلام حقيقي يليق بالله يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة.

والدليل على أنه يتكلم بمشيئته قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف: ١٤٣] فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى.

قول المخالفين في صفة كلام الله تعالى : خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منهم طائفتين:

الطائفة الأولى: الجهمية والمعتزلة، قالوا ليس الكلام من صفات الله وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء أو في المحل الذي يسمع منه وإضافته إلى الله إضافة خلق أو تشريف مثل: ناقة الله وبيت الله.

الرد عليهم :

١- أن قولهم هذا خلاف إجماع السلف، فقد قال عمرو بن في دينار رحمه الله"أدركتُ أصحابَ النَّبي -صلى الله عليه وسلم- فَمَن دونَهم منذ سبعينَ سنة، يقولون: الله الخالقُ، وما سِواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خَرجَ وإليه يعودُ"

٢- أنَّ الله تعالى حين أخبرَ عن تكليمهِ لموسى قال: {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً} فَأَكَّدَهُ بالمِصْدَر {تَكْلِيماً} وقد قالَ جماعةٌ من أهل التَّحقِيقِ في العربيةِ: "إنَّ التوكيدَ بالمصْدَر ينفي المِجاز".

٣- خلاف المعقول؛ لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئا قائما بنفسه منفصلا عن المتكلم ، فيكون إضافته إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

٤- — يلزم على قولكم أن الشجرة هي القائلة لموسى: {يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}، فانتفى حينئذ الفرقُ بين قول الشجرة وقول فرعون اللعين: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى}؛ لأنَّ كلامَ الشجرةِ صفَتُها لا صفةُ الله، وكلامَ فرعونَ صفتُهُ، وكلٌّ ادَّعى الربوبيَّة، فلم يكن موسى إذاً محِقّاً في إنكارِهِ قولَ فرعونَ وقبولهِ قولَ الشجرةِ ؟!

٥- أنَّ تكليمَ الله تعالى لموسى كان خصيصةً فُضِّلَ بها على غيره مِمَّن لَمْ يُؤْتَ مثلَ ما أوتي من الرُّسل، وقد قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ} [الشورى: ٥١] فإنْ كانَ التكليمُ لموسى حصَلَ بواسطةِ الشَّجَرة لم يكن له على مَن سِواه مِمَّن يوحى إليه بواسطةِ الرَّسولِ فضْلٌ، ولَمْ تكن منزلةُ التكليم من وراء حِجابٍ حاصلةً لأحَد من رسُل الله، وهذا تكذيبٌ للقرآن، وإبطالٌ لواضِح البُرْهان.

٦- أنَّ الكلامَ هو ما قام بالمتكلّم لا ما قامَ بغيره، وقيامُ الصفة إنَّما يكونُ بالموصوف بها لا بغيرِهِ، والصِّفَةُ إذا قَامَتْ بمحلّ كانتْ صفةً له لا صفةً لغيرِهِ -

الطائفة الثانية: الأشاعرة والماتريدية قالوا: كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير أو لحكاية المعنى القائم بنفس الله ، واستدلوا على ذلك بقول الأخطل :

إن الْكَلَام لفي الْفُؤَاد وَإِنَّمَا ... جعل اللِّسَان على الْفُؤَاد دَلِيلا

الرد عليهم :

١- قولكم هذا مصادم للأدلة الصريحة فإن المعنى المجرّد لا يُسْمَع، ومَن قال: إنَّه يُسْمَع، فهو مُكابِر" (٣٤).

فإن موسى عليه السَّلام سَمِعَ كلامَ الله، وكذلكَ سَمِعَ نداءَه، والنداءُ لا يكونُ إلاَّ صَوْتاً مسموعاً، قالَ شيخُ الإسلام: "ولا يُعْقَلُ في لغة العرَبِ لفظُ النِّداء بغير صَوْتٍ مَسْموع، لا حَقيقةً ولا مَجازاً"

وكذلك مصادم لقوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ} [الشورى:٥١] فإذا كانَ كلام الله معنًى واحداً قائما بالنفس ليس له صوت ولا يسمع فلا فَرْقَ إذاً بينَ تكليم الله لموسى وإيحائِهِ لغَيْرِه، ولا بَيْنَ التكليم من وَراء حِجابٍ والتكليم إيحاءً، لأنَّ إفهامَ المعنى المجرّد يَشتركُ فيه جميعُ الأنبياءِ عليهمَ السَّلام، ففي عدّ ذلك جميعاً معنًى واحداً رَدٌّ للقرآن .

وكذلك مصادم لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنَّ الله تجاوز لأمَّتي عما حدّثت به أنفسَها، ما لَمْ تكلَّم به، أو تعمل به" فهذا الحديث ظاهر في إخراج حديث النفس عن مطلق الكلام، ألا تراه قد فرّق بينه وبين حقيقة الكلام بقوله: "ما لم تكلّم به أو تعمل به"؟ فجعل الكلامَ الذي هو القولُ قسيماً للعمل، غيرَ حديث النفس.

ومصادم لقوله صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان". رواه البخاري .

٢- أن قولهم هذا خلاف إجماع السلف، فقد قال الحافظ الأمام أبو نصر السِّجزي - رحمه الله -: "لم يكن خلافٌ بين الخلق على اختلاف نحلِهم من أوَّلِ الزمان إلى الوقت الذي ظهرَ فيه ابن كُلاّب والقلانسي والأشعري ، وأقرانهم ... من أن الكلام لا يكون إلاَّ حرفًا وصوتًا، ذا تأليفٍ واتِّساقٍ، وإن اختلفت به اللغات ... "

٣- قولكم هذا مخالف للغة العرب فإن الكلامُ في لغة العرب التي بها نزل القرآن كما يقول ابن فارس رحمه الله: "يدلّ على نُطْقٍ مُفهم، تقول: كلّمتهُ، أكلّمهُ تكليمًا، وهو كليمي، إذا كلّمَكَ أو كلَّمْتَه" فقوله: "نطق" للدلالة على أنه لفظ بصوت وقوله: "مُفْهِم" للدلالة على كونه معنى. فهو إذًا لفظ ومعنى. وهذا الذي تدل عليه نصوص الشرع كقوله تعالى:{وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} [الكهف:٤ - ٥]فأطلق الكلمة على اللفظ الخارج من الأفواه.

٤- قال صلى الله عليه وسلم"إنَّ هذه الصلاةَ لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناسِ، إنما هو التسبيحُ والتكبيرُ وقراءةُ القرآن" ولا خلافَ بين أهل العلم أن مَن تكلَّمَ في صَلاته عامداً لغير مصلحةِ الصلاةِ فصلاتُه باطلةٌ، ولا يرَون بما تُحَدِّثُ الإنسانَ به نفسُه ممّا لا تعلُّقَ له بالصلاة من أمور الدنيا وغيرِها مُبطلاً للصلاةِ، لأنَّه بالاتفاق ليسَ بكلامٍ، ذكر نحوَ هذا شيخُ الإسلام.

٥ - قولكم هذا تشبيه لله بالأخرس ، فأيّ فرْقٍ بينه وبين الآلهةِ التي لا تُرْجِعُ إلى عابديها قولاً ؟ سبحانَكَ هذا بهتانٌ عَظيمٌ فإبراهيم عليه السلام أنكر عبادة الأصنام بقوله : {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا} [الأعراف: ١٤٨]. ومن المعلوم أن المتكلِّمُ بالألفاظ والمعاني أكْمَلُ مِمَّن يقومُ المعنى في نفسهِ وهو لا يَقدِرُ على التَّعبير عنه -وهذا إنْ وُجدَ في المخلوق الضَّعيف كانَ نَقْصاً بيّناً- فجبريلُ إذاً يكونُ أكمَلَ من ربْكم، لأنه فَهِمَ المعنى وأمكَنَه التعبيرُ عنه.تعالى الله عن قولِكم علوّاً كبيراً.

٦- أنَّ الله تعالى حين أخبرَ عن تكليمهِ لموسى قال: {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً} فَأَكَّدَهُ بالمِصْدَر {تَكْلِيماً} وقد قالَ جماعةٌ من أهل التَّحقِيقِ في العربيةِ: "إنَّ التوكيدَ بالمصْدَر ينفي المجاز"

وأما استدلالهم بقول الأخطل : فهو باطل من وجوه :

- أنكرَ بعضُ العلماء كونَه من شعرِه، وذلك أنَّهم فتّشوا دواوينَه فلم يَجِدوه فيه.

قال أبو محمَّد الخشّابُ نَحْويُّ العراقِ: "فتشتُ شِعْرَ الأخطلِ المدوّن كثيراً فما وجَدْتُ هذا البيتَ" انظر : "العلوّ" للذهبي ص: ١٩٤.

- أنَّه لم يَثْبُت نقلُه عن قائلِهِ بإسنادٍ، لا صَحيحٍ ولا ضعيفٍ.

- لم يتلقَّه أهلُ العَربية بالقَبول.

- أورَدَه بعضُهم بلفظ:

إنَّ البَيانَ لَفي الفُؤادِ ... ...

وهذا يُفْسِدُ المعْنى الذي أرادوا -كما لا يَخْفى-.

- الأخطلُ شاعرٌ مولَّدٌ، لا يُحْتَجُّ بشعرِهِ في اللُّغة، وهذا معلومٌ عندَ أهل التَّحقيق.

- أن الأخطل نصراني كافر يقول بالتثليث، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت! أي: شيء من الإله بشيء من الناس!
أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب؟!

- وأيضاً يقال لهم يا معشر الأشاعرة والماتريدية لو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقلتم هذا خبر واحد! وتركتم الاحتجاج به مع أنه متفق على تصديقه وقبوله والعمل به عند العلماء! فكيف

تحتجون ببيت الأخطل؟! كيف وهذا ا البيت قد قيل إنه موضوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟!

وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت! أي: شيء من الإله بشيء من الناس! أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب؟!

أثر الإيمان بصفة الكلام :

١-أن الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة ، يجعل العبد يشعر وهو يقرأ القرآن ، أن الله يكلمه ويخاطبه ، وبذلك يعظم إجلاله للقرآن الكريم .

٢-أن الإيمان بأن الله يتكلم حقيقة ،وأنه سوف يخلو يوم القيامة بعبده المؤمن ويقول له : (أتعرف ذنب كذا ؟ ...) ، يجعل العبد دائم التعلق بربه والحياء منه أن يعصيه في الدنيا .

انظر : [مجموع الفتاوى (٣ / ٤٠١) (٥ / ٣٠٤ ، ٥٧٧ ،٥٨٩)(٦ / ٢٩٠، ٣١٦ ، ٥١٨ - ٥١٩، ٥٣٢) (٧ / ١٣٨ – ١٤٠) (٨ / ١٢٠)(١٢ / ٢٧٣ ، ٥٠٨ - ٥١٥) (١٨ / ١٥٣)، بغية المرتاد ص(٣٥٠ – ٣٥٣ ،٣٨١-٣٨٦) ، درء التعارض (٢ / ٨) (٧ / ٢٦٥ – ٢٦٧) ، التسعينية (١ /٢٧٥ - ٢٨٢)، شرح الأصفهانية ص(١١ – ١٩) ، الجواب الصحيح (٢ / ٣١١) ، جواب الاعتراضات المصرية ص (١٠٢)،مختصر الصواعق (٤ / ١٣٩٦) العلو للذهبي (٢ / ١٠٢٥)]

ثامناً: صفة المعية : من الصفات الثابتة لله تعالى ، وهي نوعان عامة وخاصة ، فأما المعية العامة فهي من الصفات الذاتية؛ لأن مقتضياتها ثابتة لله تعالى أزلاً وأبداً، وأما المعية الخاصة فهي من الصفات الفعلية؛ لأن مقتضياتها تابعة لأسبابها، توجد بوجودها، وتنتفي بانتفائها.

قول أهل السنة : أن معية الله لخلقه ثابتة لله فهو مع خلقه، ومعية الله عز وجل الواردة في النصوص تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة.

أما العامة؛ معية عامة: شاملة لجميع المخلوقات، فهو سبحانه مع كل شيء بعلمه وقدرته وقهره وإحاطته، لا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه، ودليلها قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤]. وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} .

فالله سبحانه وتعالى قد افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم ولذلك أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم تفسير القرآن على أن تفسير الآية هو أنه معهم بعلمه.

وأما الخاصة فهي: خاصة لأهل الإيمان ، فهو سبحانه مع عباده المؤمنين بنصره وتأييده وتوفيقه ، مثل قوله تعالى عن نبيه: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة ٤٠]، وقال لموسى وهارون: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦]. وقوله تعالى: {وأَنَّ اللَّهَ مَعَ المؤمنِينَ} [الأنفال: ١٩]

ولفظ المعية على كلا الاستعمالين ليس مقتضاه أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق، ولو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان لتناقض الخبر العام والخبر الخاص، ولكن المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك.

أدلة الصفة :

– **فأما الكتاب**: قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤] ، وقوله تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ١٩] ، وقوله تعالى: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}

– **وأما السنة**: قوله صلّى الله عليه وسلّم: "أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت" . وقوله صلّى الله عليه وسلّم، لصاحبه أبي بكر وهما في الغار: {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ} [التوبة: ٤٠] .

– **الإجماع** : وقد أجمع على ذلك سلف الأمة، وأئمتها. وقد نقل هذا الإجماع ابن عبد البر، وأبو عمرو الطلمنكي، وابن تيمية، وابن القيم.

انظر : [التمهيد (١٣٨/٧)، مجموع الفتاوى (١٩٣/٥) ، و (٥١٩/٥) ، و (٢٤٩/١١-٢٥٠)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٤٤)].

قول المخالفين في صفة المعية :

الطائفة الأولى : الجهمية الحلولية ، وهم الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان ، فهؤلاء فسروا المعية بالمعية الذاتية .

الطائفة الثانية : طوائف من أهل الكلام والتصوف ويقولون إن الله بذاته فوق العرش وهو بذاته في كل مكان

والطائفتان استدلوا على ما ذهبوا إليه بآيات المعية ،فالطائفة الأولى قالوا إن ما ورد من معية الله فالمراد به أن الله بذاته في كل مكان، والطائفة الثانية تقول إنها قد اتبعت النصوص كلها في إثبات علو الله على عرشه ، وإثبات معيته بذاته في كل مكان

الرد عليهم :

١-أن الله تعالى أثبت لنفسه أنه العلي وأنه فوق العرش ، وما ورد من معيته لخلقه لا يدل على ما ذهبتم إليه من أن الله بذاته في كل مكان ، لأن المعية لا تستلزم الحلول في المكان، ألا ترى إلى قول العرب: القمر معنا، ومحله في السماء؟ ويقول الرجل: زوجتي معي، وهو في المشرق وهي في المغرب؟ ويقول الضابط للجنود: اذهبوا إلى المعركة وأنا معكم، وهو في غرفة القيادة وهم في ساحة القتال؟ فلا يلزم من المعية أن يكون الصاحب في مكان المصاحب أبداً، والمعية يتحدد معناها بحسب ما تضاف إليه، فنقول أحياناً: هذا لبن معه ماء وهذه المعية اقتضت الاختلاط. ويقول الرجل متاعي معي، وهو في بيته غير متصل به، ويقول: إذا حمل متاعه معه: متاعي معي وهو متصل به. فهذه كلمة واحدة لكن يختلف معناها بحسب الإضافة، فبهذا نقول: معية الله عز وجل لخلقة تليق بجلاله سبحانه وتعالى، كسائر صفاته، فهو سبحانه هو في السماء ومعنا بعلمه .

٢- يلزم من قول إن الله بذاته في كل مكان لوازم فاسدة:

– إما التعدد أو التجزؤ، وهذا لازم باطل بلا شك، وبطلان اللازم يدل على بطلان اللزوم.

– نقول: إذا قلت: إنه معك في الأمكنة، لزم أن يزداد بزيادة الناس، وينقص بنقص الناس.

– يلزم على ذلك ألا تنزهه عن المواضع القذرة، فإذا قلت: إن الله معك وأنت في الخلاء فيكون هذا أعظم قدح في الله عز وجل

أثر الإيمان بصفة المعية : إذا عرف العبد أن الله معه؛ وأنه مطلع عليه، وأنه لا تخفى عليه خافية ؛ فإن ذلك يحمله على مراقبته ، والخوف منه ، وعدم الخروج عن طاعته، وعدم ارتكاب شيء من معاصيه.

انظر : [مجموع الفتاوى (٥ / ١٢٧ ، ٤٩٣)(١١ / ٢٥٠) ، بيان تلبيس الجهمية (١ / ١٥٨ -١٥٩) (٥ / ٣٠٤ – ٣٠٧ ، ٣٠٩ – ٣١٦) ، درء التعارض (١ / ٢٣٧ – ٢٣٨)]

تاسعاً :صفة الرؤية: الرؤية من صفات الله الثابتة له حقيقةً على الوجه اللائق به.

قول أهل السنة : يثبتون صفة الرؤية لله عز وجل على ما يليق بجلاله .

والرؤية تنقسم إلى قسمين: أحدهما بمعنى البصر وهو إدراك المرئيات والمبصرات وهذا هو الأصل في إطلاق الرؤية، ودليلها قوله تعالى: (إِنني مَعَكُمَا اسْمَعُ وَأَرَى) (طه: من الاية٤٦) . وقوله تعالى: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: الاية١١) . وقوله: أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى [العلق: ١٤]

والدليل من السنة: حديث جبريل المشهور وفيه: ((قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك)) رواه البخاري، ومسلم؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ورواه مسلم أيضاً من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

القسم الثاني: الرؤية بمعنى العلم ويعرف هذا المعنى من خلال السياق ، ودليلها قوله تعالى: (انهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدا *وَنَرَاهُ قَرِيبا) (المعارج: ٦ – ٧) . أي نعلمه.

وكل منهما ثابت لله عز وجل .

قول المخالفين في صفة الرؤية :

- الجهمية والمعتزلة وغيرهم ، أنكروا اتصاف الله عز وجل بصفة الرؤية والبصر .

شبهتهم : أن إثبات هذه الصفة يستلزم التشبيه؛ لأنه لا يوجد شيء متصف بهذه الصفة إلا جسم، والأجسام متماثلة والله منزه عن ذلك

الرد عليهم :

١- أن الله عز وجل أثبت لنفسه صفة السمع والبصر مع نفي المماثلة ، قال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١] . فادعائهم أن إثبات الصفة يستلزم التشبيه قول باطل

٢- أن من لا يتصف بصفات الكمال لا يصلح أن يكون رباً ولا إلهاً، ولهذا عاب إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه باتخاذه ما لا يسمع ولا يبصر إلهاً فقال: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً} [مريم: ٤٢] .

٣- يلزم من قولهم : أن الحمار، والكلب أحسن حالا من إله على هذه الصفة؛ لأن الحمار يسمع الأصوات بسمع، ويرى الألوان بعين، وإلهك بزعمك: أعمى أصم، لا يسمع بسمع، ولا يبصر ببصر. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا

٤- عطلت الصفات فراراً بزعمك من تشبيه الله بالإنسان الذي يسمع ويبصر ووقعت فيما أشد وأقبح تشبيها وهو تشبيه الله بأعمى ، وتوهمت في معبودك ما توهمت في الأعمى فإلهك أعمى لا بصر له، وليس هذا بصفة إله المصلين؟ فأنت أوحش مذهبا في تشبيهك إلهك بهؤلاء العميان .

٥- فإن الرسول ﷺ قال: (لن تروا ربكم حتى تموتوا)، والشيء الغيبي لا تدرك حقيقته إلا برؤيته أو بمشاهدة نظيره أو بخبر صادق، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل وتمثيلها،

فوجب بطلان تكييفها وتمثيلها . فكيف عرفت أنّ بصر الله ورؤيته مثل رؤية وبصر فلان؟ وأنت لم تر الله؟! ، ولم تر نظيره؟!، ولم يخبرك الصادق المصدوق بذلك؟!، فهذا يدل على بطلان التكييف والتمثيل ؛ لأن الحقيقة والكيفية لا تدرك إلا بواحدة من الأمور الثلاثة .

٦- القول في الصفات كالقول في ذات الله من حيث الإثبات والنفي، فكما أنَّه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى التشبيه، فكذلك ليس في بصر الله ورؤيته ما يفضي إلى التشبيه. فمن أثبت لله ذاتا لا تماثل ذوات المخلوقين لزمه أَنْ يثبت له صفات لا تماثل صفات المخلوقين، فكما أنَّ لله ذاتا حقيقة فكذلك له صفات حقيقة، وكما أنه لا يلزم من إثبات الذات تمثيلا فكذلك لا يلزم من إثبات الصفات تمثِيلا.

٧- الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات ، فالاتفاق في اللفظ والمعنى الكُلِّيِّ بين اسمين أو وصفين لا يلزم منه المساواة في المسمَّيَات والموصوفات ، فمثلا : لفظ الرؤية : فالله يرى ، والمخلوق يرى ، ورؤية الله غير مسبوقة بعدم فهو واجب الوجود ولا يلحقها فناء، ورؤية المخلوق مسبوقة بعدم وستفنى، فهذا يرى وهذا يرى، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الرؤية أن تكون رؤية الله مثل رؤية المخلوق، بل رؤية الله تخصه ورؤية الإنسان تخصه، واتفَاقُهُما في اسمٍ عامٍّ . وهو لفْظُ الرؤية . لا يَقْتَضِي تماثُلُهما في مُسَمَّى ذلك الاسم .

أثر الإيمان برؤية الله لخلقه :

- إذا آمن العبد برؤية الله له وأنه مطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره، وأنه لا يخفى عليه شيء من أمره ، استحى أن يراه على معصية أو فيما لا يحب.

- من علم أن الله يراه أحسن عمله وعبادته وأخلص فيها لربه وخشع فقد جاء في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال صلى الله عليه وسلم : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)

انظر : [مجموع الفتاوى (٣ / ٤٦ – ٤٧)،(٦ / ٣٥٥) ، درء التعارض (١٠ / ٣٠٨ - ٣٠٩)]

عاشراً : صفة الوجه : من الصفات الذاتية الثابتة لله عز وجل خبراً فقط.

قول أهل السنة : : أهل السنة يثبتون صفة الوجه لله تعالى وأن وجهه حقيقي ولا يجوز تأويل صفة الوجه بمعنى الثواب أو الذات أو النعمة والإحسان .

أدلة الصفة : هذه الصفة دل عليها الكتاب، والسنة، والإجماع

أما الكتاب: قوله تعالى: {فثم وجه الله} ، {كل شيء هالك إلا وجهه} ، وكقوله: {ابتغاء وجه ربه} ، وكقوله: {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}

وأما السنة: قوله صلى الله عليه وسلم : "إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط، ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره".

– وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : «... وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»

– وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "لما نزلت: {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بوجهك" .

وأما الإجماع :قد أجمع أهل السنة على أن الله له وجه حقيقي موصوف بالجمال والبهاء والحسن حجابه النور .

قول المخالفين في صفة الوجه :

– الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، حيث فسروا وجه الله بالثواب أو الذات أو النعمة أو الإحسان

الرد عليهم :

١- تفسيركم هذا مصادم للنصوص الصريحة التي تدل على أن المراد الوجه الحقيقي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} قال: "النظر إلى وجه الله" فالوجه شيء آخر غير الثواب .

وأيضاً {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} وصف الوجه بالجلال والإكرام ولا يقال أنه وصف لمخلوق سواء الثواب أو الإحسان أو النعمة .

وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : " حجابه النور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره" فهذا الحديث يدل على أن المراد الوجه حقيقة.

٢ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثناه سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد٢، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "لما نزلت: {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بوجهك" .

أفيجوز أيها الجهمي أن يتأول هذا: أعوذ بثوابك أو نعمتك أو إحسانك ؟ فإنه لا يجوز أن يستعاذ بوجه شيء غير وجه الله تعالى، وبكلماته، فلا يستعاذ بمخلوق .

٣- تفسيركم هذا مخالف لما عليه السلف من إثبات الوجه حقيقة لله من غير تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل .

٤ – أن معنى الوجه في اللغة زائد عن معنى الذات وليس هو الذات ، قال ابن الزاغوني :" قد ثبت في عرف الناس وعادتهم في الخطاب العربي الذي أجمع عليه أهل اللغة أن تسمية الوجه في أي محل وقع – في الحقيقة والمجاز – يزيد على قولنا ذات..."

انظر : [الإيضاح في أصول الدين ص ٢٨٠ ، بيان تلبيس الجهمية (١ / ٢٥٣ – ٢٥٦)، مجموع الفتاوى (٤ / ١٧٤)، درء التعارض (١٠ / ٣٠٨ - ٣٠٩) مختصر الصواعق المرسلة (٣ / ٩٩٦ – ٩٩٨)]

أخيراً : يجب على المسلم أن يسير في صفات الله وفق ما سبق من القواعد

ومن ذلك ما يتعلق بصفتي القدم والساق فإنهما ثابتتان لله عز وجل وهما من الصفات الذاتية ولا يجوز تأويلهما بالجماعة من الرجال أو أن قدم الله بمعنى ما قدموا من أعمالهم كل هذه من التأويلات المذمومة بل يجب إثباتهما لله حقيقة ليس كمثله شيء ولا يعلم كيفيتها إلا الله وقد دل على هاتين الصفتين قوله تعالى : {يوم يكشف عن ساق} [القلم: ٤٢] وروى ابن منده بسند حسن عن ابن مسعود، في قوله جل وعز {يوم يكشف عن ساق} [القلم: ٤٢] قال: «عن ساقيه» وعن أبي سعيد الخدري. أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل نرى ربنا عز وجل يوم القيامة؟ قال: «هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم لا تضامون في رؤية أحدهما. فإذا كان يوم القيامة نودي ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد شيئا إلا تبعه، حتى لا يبقى إلا المؤمنون، فيأتيهم الله عز وجل» فيقول: «أنا ربكم» فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا. فيقول: «هل بينكم وبينه آية؟» فيقولون: نعم. «يكشف عن ساق» ، فلا يبقى أحد ممن كان يعبد الله عز وجل إلا خر له ساجدا "

– وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع الجبار فيها قدمه فتزوى فتقول: قط قط"

مسألة : رؤية العباد لربهم تبارك وتعالى:

قول أهل السنة : أهل السنة قولون برؤية العباد لربهم تبارك وتعالى يوم القيامة

أدلة هذه المسألة : رؤية العباد لربهم يوم القيامة ثابتة بالكتاب والسنة؛

فأما الكتاب : قوله تعالى: (وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقوله :(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) (يونس: الاية٢٦) . فقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الزيادة بالنظر إلى وجه الله.

أما السنة : قوله صلى الله عليه وسلم: "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا"

والتشبيه في هذا الحديث للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : «... وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»

الإجماع : أجمع أهل السنة على أن الله تعالى يرى في الآخرة حتى قال أبو داود السجستاني رحمه الله سمعت أحمد بن حنبل وذكر عنده شيء من الرؤية فغضب وقال : من قال إن الله لا يرى فهو كافر [أخرجه الآجري في الشريعة رقم " ٥٨" بسند صحيح] وقال الدرامي حاكياً الإجماع : " فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية، على تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديما وحديثا يروونها ويؤمنون بها، لا يستنكرونها ولا ينكرونها..."

قول المخالفين في رؤية الله :

أولًا : الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية : أنكروا رؤية الله واستدلوا على ذلك بما يلي :

شبهتهم :

الشبهة الأولى : قالوا الله نفى الرؤية في قوله تعالى : {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً} [الأعراف: ١٤٣].

و (لن) للنفي المؤبد، والنفي خبر، وخبر الله تعالى صدق، لا يدخله النسخ

الرد عليهم :

١ –أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته – أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

٢ – أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: {إني أعظك أن تكون من الجاهلين}

٣– أن موسى عليه صلاة والسلام لم يطلب من الله الرؤية في الآخرة؛ وإنما طلب رؤية حاضرة؛ لقوله: {أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ}؛ أي: الآن. فقال الله تعالى له: {لَنْ تَرَانِي}؛ يعني: لن تستطيع أن تراني الآن، ثم ضرب الله تعالى له مثلاً بالجبل حيث تجلى الله تعالى له فجعله دكاً، فقال: {وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} ، فلما رأى موسى ما حصل للجبل؛ علم أنه هو لا طاقة برؤية الله، وخر صعقاً لهول ما رأى.

٤ – أما دعواهم تأييد النفي بـ ((لن)) وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ قال تعالى: {ولن يتمنوه أبدا} ، مع قوله: {ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك}. ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: {فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي}. فثبت أن ((لن)) لا تقتضي النفي المؤبد.

٥ – القول بأن لن تفيد التأبيد أنكره أهل اللغة وهي من محدثات لمعتزلة كالقاضي عبدالجبار والزمخشري .

ولهذا قال ابن مالك في الكافية: ومن رأى النفي بلن مؤبدا ... فقوله اردد وسواه فاعضدا

٦ – أن الله علق رؤيته على ممكن وهو استقرار الجبل، والمعلق على الممكن ممكن .

الشبهة الثانية : قالوا الله نفى الله الرؤية في قوله تعالى: {لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣] قالوا: فَنَفَى الإدراكَ، ونَفْيُ الإدراك مستلزم لانتفاء الرؤية.

الرد عليهم :

١ – أنَّ هذا غلط كبير؛ لأنَّ نَفْيَ الإدراك لا يستلزم انتفاء الرؤية، فإنَّه قد ترى الشيء ولا تدركه؛ يعني لا تحيط به، فهذه السماء نراها ولا أحد يشك في أنه يرى السماء، ولو قلت لأي أحد يرى السماء: هل تدرك السماء رؤية وتحيط بها؟

فسيكون جواب كل أحد: لا، يعني لا يدركها رؤية، وإنما يرى منها ما يمكنه أن يرى وكما قال – عز وجل – {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا} [الشعراء:٦١-٦٢] ووجه الدلالة أنَّهُ نفى الإدراك، ومع نَفْيِ الإدراك أثبت الله – عز وجل – الترائي وهو رؤية كل جمع لآخر فقال {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ} هذا الجمع رأى الجمع وذاك الجمع رأى الجمع ومع ذلك {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} فقال موسى (كَلَّا) يعني لن نُدْرَكْ يعني لن يُحاطَ بنا ، فالإدراك شيء زائد على الرؤية .

فنَفْيُ الإحاطة لا يستلزم أن تُنْفَى الرؤية؛ بل نَفْيُ الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية نقيض ما قالوا، وهو الوجه الثاني من الاستدلال عليهم بهذه الآية.

٢– أن بعض السلف وهو قول عائشة رضي الله عنها يرون أن قوله: {لا تدركه الأبصار} نفي للؤية في الحياة الدنيا، كما قال صلى الله عليه وسلم "إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا" أما الرؤية في الآخرة فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤية الله في المعاد قال: "نعم، جهرة كما ترى الشمس والقمر ليلة البدر" ، ففسر رسول الله صلى الله عليه وسلم المعنيين على خلاف ما ادعيت. فالآية

نفي للرؤية في الدنيا ، وأما في الآخرة فيرونه كما يرون القمر ليلة البدر . فلما قال الله {لا تدركه الأبصار} وجاء عنه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن رؤية الله في المعاد قال: "نعم، جهرة كما ترى الشمس والقمر ليلة البدر" لم يخف على ذي نظر أنه في وقت دون وقت .

ثانيًا :الأشاعرة : أثبتوا الرؤية لكن قالوا الرؤية ليست إلى جهة، وإنما تكون إدراكاً .

الرد عليهم :

١- أن النصوص الواردة في الرؤية - وهي كثيرة، وقد أفردها بعض علماء السنة بمؤلفات - دالة على أن رؤية المؤمنين لربهم إنما تكون في جهة العلو كما قال صلى الله عليه وسلم :"إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا"

٢- أن كون الله يرى بجهة من الرائي ثبت بالنصوص و إجماع السلف والأئمة، وقد نقل شيخ الإسلام أقوال السلف في ذلك ، ومن قال خلاف ذلك فقد خالف النصوص ، فإن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث"إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر **عيانا** بأبصاركم ..." فكلمة عيانا صريحة في المعاينة والمواجهة .

٣- أن العرب لا يتصورون الروية إلا في جهة ، والشرع إنما يخاطبهم بلسانهم قد وقد اعترف بهذا الرازي ، فقال" إن الاسم إنما يوضع لما يكون معلوماً للواضع ، والعرب ما كانوا يتصورون إلا رؤية الشيء المحدود ..." إلى أن قال عن رؤية الشيء من غير جهة " ... لكنه ما كان معلوما للعرب ولا متصورا لهم ..." انظر : [نهاية العقول للرازي لوحة ١٦٩ / ب ، وقد نقله ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٤ / ٤٢٥)]

٣ - قوله صلى الله عليه وسلم: "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا" وقوله " لا تضارون في رؤية ربكم " ومعلوم أنه لو كان يُرى سبحانه من غير جهة لا يتصور فيه معنى الضيم والضير حتى

ينفي ذلك ، فلما نفى الضير والضيم علمنا أن الرائي يرى المرئي وهو الله من جهة العلو فيتصور حينئذ فيه معنى الضيم والضير.

٤ – أن الأشاعرة – مع كونهم أقرب إلى الحق من المعتزلة، لأنهم أقروا بالرؤية، وإن كانوا قد نفوا العلو – بخلاف المعتزلة الذين نفوا الأمرين – إلا أنهم متناقضون، لأن إثباتهم للرؤية يقتضي إثباتهم للعلو، كما أن نفيهم للعلو يقتضي نفيهم للرؤية أيضاً. فيلزمهم أحد أمرين: إما نفي الرؤية أو اللحاق بأهل السنة في إثباتهما. وأحد الأمرين لازم لهم. ولهذا لما علم الرازي والغزالي هذا الأمر وأنه لازم لهم قالوا بقول المعتزلة وهو أن المراد برؤية الله زيادة العلم .

انظر : [مجموع الفتاوى (٣ / ٣٥ – ٣٧) (١٦ / ٨٥ – ٨٧)، بيان تلبيس الجهمية (٢ /٤٠٨ – ٤٠٩، ٤٣٤ – ٤٣٥، ٤٥١) ،(٣ / ٥٣١ ، ٥٧٣) ،(٤ /٣٢٣ – ٣٢٨ ،٣٥٧ ،٤٢٦ – ٤٢٦، ٤٤٤ – ٤٥٧) ، درء التعارض (١ / ٢٥٠) ، منهاج السنة (٢ / ٣١٧ – ٣١٨)]